

# فقه من عيون علوم القرآن

آية الله الشيخ محمد باقر الملكي الميانجي



إعداد وتنظيم  
السيد هاضل الرضوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# نفحات من علوم القرآن

كاتب:

محمد باقر ملكي میانجی

نشرت في الطباعة:

ولایت

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٩	نفحات من علوم القرآن
٩	اشاره
٩	اشاره
٢٠	تمهيد
٣٠	١ فضل القرآن
٣٠	فضل القرآن ولزوم التدبر فيه
٣٠	اشاره
٣٣	الف) القرآن
٣٣	ب) الأحاديث
٣٦	تجلّى الله فى القرآن
٣٧	القرآن وعصمته الذاتيه
٣٨	هيمنه القرآن
٣٨	٢ حجّته ظواهر القرآن
٣٨	ظواهر الكتاب
٤١	تحدى الرسول ﷺ بالقرآن
٤٢	مقامات القرآن
٤٤	درجات الفهم فى تلقى الدعوه العامه
٤٦	الدعوه الخاصه
٤٩	الجمع بين الروايات
٥٠	القرآن كتاب تعليمي
٥١	التعليم والتذكير
٥٤	٣ الإنزال والتنزيل

٥٤	الإنزال والتنزيل فى القرآن والحديث
٥٩	رأى صاحب الكشاف والمنار
٦٠	نظريته صاحب الميزان
٦٣	تحليل ونقد
٧١	الجمع بين النزول الدفعى والتدريجى
٧٢	المحكم والمتشابه
٧٢	المحكم والمتشابه فى القرآن والحديث
٨١	دراسه بعض الآراء فى المحكم والمتشابه
٨٥	نظريته صاحب الميزان ونقدها
٩٠	المنهج الصحيح فى التفسير
٩٠	معنى التفسير
٩٥	نقد منهجيته تفسير القرآن بالقرآن
١٠٢	التفسير بالرأى
١٠٢	المنع عن التفسير بالرأى
١٠٦	معنى التفسير بالرأى
١٠٩	تبعات التفسير بالرأى
١١٣	وقفه مع منهج الصحابه والتابعين فى التفسير
١١٨	التأويل
١١٨	التأويل فى القرآن
١٢٤	معنى التأويل
١٢٤	حقل التأويل
١٢٤	اشاره
١٢٧	الف) الآيات
١٢٧	ب) الروايات

العالمون بالتأويل	١٣١
الراسخون في العلم	١٣٤
الروايات المانعه عن التفسير والتأويل	١٣٦
تقييم بعض النظريات	١٤٦
بعض التأويلات الباطله	١٤٩
النسخ ٨	١٥٢
معنى النسخ	١٥٢
النسخ في التكوينيات	١٥٦
النسخ والمشيه الأزلتيه	١٥٨
المعنى الاصطلاحي للنسخ	١٥٩
البداء ٩	١٦٠
معنى البداء	١٦٠
معرفة البداء	١٦٣
أهميته البداء	١٦٥
المشييه الأزلتيه في منظار الوحي	١٦٦
البداء في المعارف الإلهيته والبشريه	١٦٨
العلم منشأ البداء الإلهي	١٦٩
آثار الاعتقاد بالبداء	١٧٠
اشاره	١٧٠
الف ( الأحاديث الدالّه على أنّ الدعاء يبدّل القضاء	١٧٠
ب) الأحاديث الدالّه على وقوع البداء بواسطه صله الأرحام وإعطاء الصدقه وزياره سيّد الشهداء	١٧٢
١٠ تحدّي القرآن وإعجازه	١٧٤
ضروره الإعجاز	١٧٤
إعجاز القرآن	١٧٩

١٨١	وجه التحدى والإعجاز
١٨٤	نماذج تاريخيه من تأثير القرآن
١٩٠	إعجاز القرآن فى علومه ومعارفه
١٩٤	القرآن كلام الله
٢٠٠	الفهارس
٢٠٠	فهرس الآيات الكريمة
٢١٥	فهرس الروايات الشريفه
٢١٨	فهرس مصادرالتحقيق
٢٢٦	الملخص
٢٣١	تعريف مركز

## نفحات من علوم القرآن

## اشاره

سرشناسه : ملكى ميانجى، محمدباقر، ۱۲۸۴ - ۱۳۷۷.

عنوان و نام پديدآور: نفحات من علوم القرآن / مؤلف محمدباقر ملكى ميانجى؛ اعداد و تنظيم سيد فاضل

رضوى؛ تحقيق مرتضى اعدادى خراسانى.

مشخصات نشر : مشهد: ولايت، ۱۳۹۳.

مشخصات ظاهرى : [۲۱۶] ص.

شابك : ۹ ۶۰ ۶۱۷۲ ۶۶۴ ۹۷۸

يادداشت : كتابنامه به صورت زيرنويس.

موضوع : قرآن — علوم قرآنى

موضوع : تفاسير شيعه — قرن ۱۴

شناسه افزوده : رضوى، سيدفاضل، گردآورنده

شناسه افزوده : اعدادى خراسانى، مرتضى، ۱۳۶۰ -

رده بندى كنگره : BP۶۹/۵م/۷۶ن۷ ۱۳۹۳

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۱۵

شماره كتابشناسى ملي : ۳۶۰۳۳۰۸

ص: ۱

## اشاره









ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

يُعَدُّ العلم والمعرفة أفضل وأكبر النعم الإلهية المهداه لعباد الله الصالحين لأنَّ بالعلم يُعينهم الله على عبوديته والخضوع له و به يخضعون له، كما يُعَدُّ ذلك من اكبر النعم التي بها يفتخرون في حياتهم الدنيا .

والعلماء الربانيون والعرفاء الإلهيون هم من يستضيئون بهدى الانبياء والائمة ﴿ولا يشعرون بالتعب أو الملل أبداً في سلوك هذا الطريق. طريق العلم والعمل، ويتجنبون الطرق الأخرى التي لا تنتهي بهم إلى نيل معارف الأئمة﴾.

تهدف هذه المؤسسة التي تأسست بدافع إحياء آثار هذه الثلة المخلصة التي تحملت على عاتقها مهمّة الدفاع عن المعارف الوحياتية والعلوم الإلهية الأصيلة إلى نشر هذا الفكر عبر الوسائل العصرية المتاحة ومن الله التوفيق.















ص: ١٢

تمهيد

ص: ١٣

الحمد لله الذى علا فى توخده، ودنا فى تفرده، وجلّ فى سلطانه، وعظم فى أركانه، وأحاط بكلّ شىء علماً وهو فى مكانه.

ثمّ الصلاه والسلام على المنتجب فى الميثاق، المصطفى فى الظلال، والمطهر من كلّ آفه، الخاتم لما سبق والفتاح لما استقبل، والمهيمن على ذلك كلّ، رسول الله، وحيّبه، وصفّيه، وخيرته من خلقه، الأحمد من الأوصاف، والمحمد لسائر الأشراف، الكريم عند الربّ، والمكلم من وراء الحجب، الفائز بالسباق، والفائت عن اللحاق وعلى أهل بيته الطاهرين، فصلّ اللهم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، بحور العلوم الزاخره، والنجوم الزاهره، والأعلام الباهره، وسادات الخلق فى الدين والآخره، صلاه زاكيه ناميه كثيره دائمه لا يحيط بها إلّا أنت ولا يسعها إلّا علمك ولا يحصيها أحد غيرك.

وبعد، فإنّ كلّ هموم الأنبياء وهممهم، ومنتهى مقاصدهم وغاياتهم، وأوّل حاجتهم وآخرها إنّما هو طلب لقاء الله وبلوغ ساحه معرفته ولقاءه، فإنّهم أفرغوا جهدهم وشحذوا جدّهم فى التملّقى بين يديه والتعرّض لعطفه، يسألونه أن يعرّفهم الطريق إليه والسبيل إلى رضوانه، وتضرّعوا بكلّ وجودهم لكسب محبّته ورضاه، ولسان حالهم جميعاً «يَا مَنْ هُوَ غَايَةُ

ص: ١٤

مُرَادِ الْمُرِيدِينَ يَا مَنْ هُوَ مُنْتَهَى هِمَمِ الْعَارِفِينَ، يَا مَنْ هُوَ مُنْتَهَى طَلَبِ الطَّالِبِينَ». (١)

وفى بحار الأنوار، عن النبي ﷺ:

بَكَى شُعَيْبٌ ﷺ مِنْ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى عَمِيَ، فَردَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بَصِيرَةً؛ ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَمِيَ، فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصِيرَةً؛ ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَمِيَ فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصِيرَةً؛ فَلَمَّا كَانَتِ الرَّابِعَةُ أَوْحَى اللَّهُ: إِلَيْهِ يَا شُعَيْبُ إِلَى مَتَى يَكُونُ هَذَا أَيْدًا مِنْكَ؟ إِنْ يَكُنْ هَذَا خَوْفًا مِنْ إِلَهِي وَسَيِّدِي، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي مَا بَكَيْتُ خَوْفًا مِنْ نَارِكَ وَلَا شَوْفًا إِلَى جَنَّتِكَ وَلَكِنْ عَقَدْتُ حُبُّكَ عَلَى قَلْبِي، فَلَسْتُ أَصْبِرُ أَوْ أَرَاكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَيْهِ؛ أَمَّا إِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا، فَمِنْ أَجْلِ هَذَا سَأُخِذُكَ كَلِيمِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ. (٢)

هذا ديدن أولياء الله، والمنيبين إليه، حتى بعث الله خاتم الرسل بالحق، أعلى الأنبياء درجه وأحفظهم سرّاً وأشدّهم عزيزه وأوسعهم صدرّاً وأوعاهم قلباً، فهَيَّاهُ اللهُ تعالى لتلقى الوحي، وأدّبه، وأحسن تأديبه، وكمّله وحمله ما تحمّل، ولقّنه كلّ شيء علماً وحكمة. ثم حفظ ذلك كلّ له في جُمْلٍ نزلت على قلبه عاماً بعد عام، فكان القرآن العظيم الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، والخاتم لجميع الكتب، تصديقاً لما بين يديه، ومهيماً عليه، تنزيل من حكيمٍ حميد؛ جعله الله طريقاً إلى معرفته، وإلى رضوانه، ولقائه، وإلى شريعته، وإلى جنته.

١- دعاء الجوشن الكبير؛ البلد الأمين، ص ٤١١؛ المصباح للكفعمي، ص ٢٥٩.

٢- بحار الأنوار، ج ١٢، ص ٣٨٠، ح ١ (الباب ١١ من أبواب قصص إبراهيم من كتاب النبوه).

ص: ١٥

قال أمير المؤمنين:

ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ نُورًا لَا تَطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسَرَاجًا لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ وَمِنْهَا جَا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَشُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ وَفِرْقَانًا لَا يُخَمِّدُ بُرْهَانَهُ وَتَبْيَانًا لَا تُهْدِمُ أَرْكَانُهُ وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ وَعِزًّا لَا تُهْزِمُ أَنْصَارُهُ وَحَقًّا لَا تُخْذِلُ أَعْوَانُهُ؛ فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُخُورُهُ وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ وَأَثَافِي الْإِسْلَامِ وَبُتَيَانُهُ وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيْطَانُهُ وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ وَعُيُونٌ لَا يَنْضِبُ بِهَا الْمَائِتُحُونَ وَمَنَاهِلٌ لَهَا يَغِيْضُهَا الْوَارِدُونَ وَمَنَازِلٌ لَهَا يَضِلُّ نَهْجُهَا الْمُسَافِرُونَ وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ وَمَحَاجَّ لِمَنْطِقِ الصُّلَحَاءِ وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلًا وَثِقًا عُرْوَتُهُ وَمَعْقَلًا مَنِيعًا ذُرْوَتُهُ وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ وَسَلَمًا لِمَنْ دَخَلَهُ وَهُدًى لِمَنْ اتَّيَّم بِهِ وَغُدْرًا لِمَنْ انْتَحَلَهُ وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَفَلَجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ وَجَنَّةً لِمَنْ اسْتَلَامَ وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى. (١)

هذا هو القرآن الكريم والكتاب المجيد وأن قلب النبي ﷺ وعاءه، وصدْرُه حامله. ثم لم يرث علم القرآن ولم يستوعبه ويرعه حق رعايته غير

ص: ١٦

أوصياه من بعده، ولهذا لن يهتد أحد من الناس إلى كلام الله ومعرفة معارفه إلا من أخذ عنهم واستقى من علمهم، قال محمد ﷺ عدل القرآن الكريم، والمخصوصون بعلمه، والعارفون بالناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمحكم والمتشابه والتنزيل والتأويل دون سواهم.

نعم، يبقى للقرآن جانبان؛ جانب ميسر للخلق يعلمه العالم والجاهل، وجانب غامض معمى، ومستور مغطى، لا مناص للطالب فيه من الرجوع إلى ترجمان الكتاب وحمله علمه الخلفاء المعصومين. (١)

فلا ريب من جانب أن أهل البيت قد صرّحوا ودعوا إلى التمسك بمحكم الكتاب، كما عن الصادق ﷺ:

إِنَّ الْقُرْآنَ فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، فَأَمَّا الْمُحْكَمُ فَتُؤْمِنُ بِهِ وَتَعْمَلُ بِهِ وَتَدِينُ بِهِ. (٢)

وما جاء في بيان أمير المؤمنين ﷺ من أن قسماً من القرآن يعلمه العالم والجاهل (٣)؛ إلا أنه ومن جانب آخر، استناداً إلى قوله تعالى: ﷻ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (٤. ٥).

١- هذه المسألة قد جعلها صاحب الكتاب الذى بين يديك ركيزته فى التفسير، وطريقته فى تلقى علوم الآيات.

٢- بصائر الدرجات، ص ٢٠٣، ح ٣ (الباب العاشر من الجزء الرابع)؛ وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٩٨، ح ٥٢ [٣٣٥٨٣] (الباب ١٣ من أبواب صفات القاضي من كتاب القضاء).

٣- راجع: الاحتجاج، ج ١، ص ٢٥٣؛ تفسير كنز الدقائق، ج ٣، ص ٣٢ (ذيل الآية ٧ من سورة آل عمران).

٤- القيامة (٧٥)، الآية ١٩.

ص: ١٧

وقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (١).

وقوله سبحانه: ﴿وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (٢).

وقوله سبحانه: ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ (٣).

ونظائرها من الآيات المباركات، أصبح مقام التبيين والتفسير ورفع الاختلاف من الآيات، شأنًا خاصًا من شؤون خلفاء الله وحججه الذين علمهم الذكر وجعلهم أهل الذكر، فقال عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤). فليس لغيرهم أن يتصدى لهذا المقام الشامخ الخطير. ولهذا تبه النبي الأكرم في يوم الغدير بعد أن دعا إلى تدبر القرآن وتفهم آياته، على ضروره الاعتماد على وصيه وخليفته من بعده أمير المؤمنين في ذلك و الأخذ منه لا من غيره فقال:

فَوَ اللَّهُ لَهُوَ مُبَيِّنٌ لَكُمْ نُورًا وَاحِدًا وَلَا يُوضِّحُ لَكُمْ تَفْسِيرَهُ إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ وَمُصْعِدُهُ إِلَيَّ وَشَائِلٌ بِعَضْدِهِ وَمُعَلِّمُكُمْ أَنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلَيٌّ مَوْلَاهُ. (٥)

المؤلف في سطور

ولد آيه الله الشيخ محمد باقر الملوكي الميانجي نجل المرحوم الحاج عبد

١- الدخان (٤٤)، الآية ٥٨.

٢- النحل (١٦)، الآية ٤٤.

٣- البقرة (٢)، الآية ١٢٩.

٤- النحل (١٦) الآية ٤٣ والأنبياء (٢١)، الآية ٧.

٥- روضه الواعظين، ج ١، ص ٩٤؛ بحار الأنوار، ج ٣٧، ص ٢٠٩، ح ٨٦ (الباب ٥٢ من أبواب النصوص الدالة على الخصوص... من كتاب تاريخ أمير المؤمنين).



ص: ١٨

العظيم في أسرهِ عريقه ديتيه شريفه في آذربايجان، فدرس المقدمات من الأدب والمنطق والفقه والأصول لدى العالم الجليل المرحوم آية الله السيد واسع الكاظمي التركي الذي كان من أفاضل تلامذه الآخوند الخراساني حتى أكمل عنده كتابي القوانين والرياض.

ثم انتقل إلى مشهد المقدسه ودرس السطوح العليا لدى أستاذه المرحوم آية الله الشيخ هاشم القزويني، والفلسفه والعقائد لدى المرحوم آية الله الشيخ مجتبي القزويني، ثم حضر بحوث الخارج لدى المرحوم آية الله ميرزا محمّد آقازاده الخراساني، كما تلقى قسمًا من المباحث الفقهية ودوره في الأبحاث الأصولية والمعارف الاسلاميه عند الفقيه الكبير آية الله الميرزا مهدي الغروي الإصفهاني، فنال إجازة الاجتهاد والإفتاء والرواية منه سنة ١٣٦١هـ.ق؛ وقد صدّقها المرحوم آية الله العظمى السيد محمد الكوه كمرّي التبريزي.

ثم رجع إلى موطنه بعد مضي ١٣ سنة من الدراسة في مشهد وقام بنشر المعارف الاسلاميه، ثم انتقل إلى قم المقدسه بعد ١٦ سنة وأكرمه المرجع الديني الأعلى للشيعة المرحوم آية الله العظمى البروجردي، فواصل تدريسه في الحوزه لبحث خارج الفقه والتفسير والمعارف فخرج على يديه عدة من أهل العلم والمعرفة.

له مؤلفات طبع بعضها كبداية الكلام في تفسير آيات الأحكام، وتفسير فاتحه الكتاب، ومناهج البيان في تفسير القرآن وكتاب توحيد الإماميه في العقائد وله مخطوطات كرساله في الحبط والتكفير ودوره كامله لتقريرات الأصول لأستاذه آية الله الميرزا مهدي الإصفهاني.

ص: ١٩

## منهج مباحث الكتاب

من هذا المنطلق اجتهد المؤلف أعلى الله مقامه في بيان أهميته حفظ مقام أهل البيت  $\square$  وموضعهم من مسأله التفسير.

وقد سعى إلى تبيين التمييز بين المحكمات التي يسوغ فيها التمسك بظاهر الكتاب من خلال إمضاء الحجج المعصومين ودعوتهم إلى الأخذ والعمل بها، وبين غيرها مما يجب الرجوع إلى حمله القرآن في أصل فهمها.

ومن الجدير بالذكر أن هذه عينها طريقه مشى الفقهاء الأصوليين في زمن غيبه المعصوم في مقام التمسك بظاهر الكتاب، رغم قلّه الأخبار الموجوده في خصوص هذا المجال.

بين يدى القارئ أهم ما تعرّض له المؤلف في هذا الكتاب:

## نقد منهج صاحب الميزان

فيه تنبيه على خطأ المبنى الذى سلكه صاحب تفسير الميزان فى تبيين مقاصد المعانى القرآنيّه وتفسير الآيات، والخلل فى أسلوبه فى التفسير، حيث أخذ فى التفسير المذكور محاوله تفسير القرآن بالقرآن لما رأى من ضروره مجانبه بيان غير القرآن حتّى يبانات أهل الذكر الذين إليهم مرجع العباد فى ذلك. (١)

وقد ذكر المؤلف  $\square$  هذه النظرية وما يرد عليها، والتي تؤول فى طبيعتها

١- قال فى الميزان ج ٣، ص ٨٥: فالحقّ أنّ الطريق إلى فهم القرآن الكريم غير مسدود، وأنّ البيان الإلهي والذكر الحكيم بنفسه، هو الطريق الهادى إلى نفسه، أى إنّه لا- يحتاج فى تبيين مقاصده إلى طريق، فكيف يتصوّر أن يكون الكتاب الذى عرفه الله تعالى بأنّه هدى وأنّه نور وأنّه تبيان لكلّ شىء مفتقراً إلى هاد غيره ومستنيراً بنور غيره ومبيّناً بأمر غيره.

ص: ٢٠

إلى التفريق بين الذكر وأهل الذكر، وبين الله ورُسله، والإيمان ببعض دون بعض.

وفى هذا المضممار تعرّض لضروره رجوع الأئمة إلى الأئمة في معرفه حِكَم القرآن وحقائقه ومعارفه، لا معرفه ألفاظه وقراءاته فحسب.

النسخ وأنواعه

وقد اهتمّ بتبيين معانى النسخ والتأويل ووضع النقاط على الحروف فى تفسير القرآن بالرأى وتعرّض لأهمّيه نبذ المعانى الاصطلاحية، معتمداً على المعنى اللغوى لفهم ما ورد من كلمات أهل البيت والقرآن الحكيم.

بحوث عقائديه

وقد أشار إلى فوائد مهمّة ذكرها فى ضمن الآيات التى تناسبها، من قبيل مسأله البداء ومعنى تغيير الرأى عند البارى تعالى، وقد حرص حرصاً شديداً على التمسك باللغة من دون التورط بالمعانى المصطلحه التى نكست الفحول حين عجزوا عن معالجتها، ولم يبدّل ولم يأوّل ظاهر قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (١) ولم يرفع اليد عن ظاهر الروايات المفسّره له كقول الصادق: ﴿

وَهَلْ يُمَحِّى إِلَّا مَا كَانَ ثَابِتًا وَهَلْ يُثَبِّتُ إِلَّا مَا لَمْ يَكُنْ. (٢)

وقد أبطل ما جاء به الفلسفه فى هذا الصدد بتسليط الأضواء على كلمات فصل الخطاب وهم أئمة الهدى، ونسبه نشو الرأى إلى علمه تعالى لا كما

١- الرعد (١٣)، الآية ٣٩.

٢- الكافى، ج ١، ص ١٤٧، ح ١ (باب البداء).

ص: ٢١

توهم المتكلفون في نسبه نشو الجهل، فعقد باباً في حل هذه الشبهة وذكر فيه قول الصادق:

مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَبْدُو لَهُ فِي شَيْءٍ الْيَوْمَ، لَمْ يَعْلَمْهُ أَمْسٍ فَابْرَأُوا مِنْهُ. (١)

مثبتاً في ذلك كله إنشاء الرأي حقيقه فيما لم يكن من قبل، كما قال موسى بن جعفر:

إِنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ مَا قُدِّرَ وَمَا لَمْ يُقَدَّرْ قَالَ قُلْتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ هَذَا مَا قُدِّرَ قَدْ عَرَفْنَاهُ، أَفَرَأَيْتَ مَا لَمْ يُقَدَّرْ؟ قَالَ: حَتَّى لَا يُقَدَّرَ. (٢)

تحدى القرآن الكريم

وقد عقد في الفصل الأخير من الكتاب باباً تحت عنوان: «في التحدى بالقرآن» موضحاً فيه موضوع التحدى، وأهميته التحدى العلمى والإعجاز في ذلك ومعناه، وكذلك المراد من حديث مولانا الرضا:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا فِي وَقْتٍ كَانَ الْعَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ الْخُطْبَ وَالْكَلَامَ، فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ مَوَاعِظِهِ وَحِكْمِهِ مَا أَبْطَلَ بِهِ قَوْلَهُمْ، وَأَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ. (٣)

- ١- كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٧٠؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ١١١، ح ٣٠ (الباب الثالث من أبواب الصفات من كتاب التوحيد).
- ٢- بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢٩٧، ح ٢٧ (الباب ١٦ من أبواب الدعاء من كتاب القرآن).
- ٣- الكافي، ج ١، ص ٢٤، ح ٢٠؛ بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٢١٠، ح ١٥ (الباب الأول من أبواب معجزاته من كتاب تاريخ نبينا).

ص: ٢٢

ميزه هذه الطبعه

الأثر الحاضر بين يديك هو عبارته عن مقدمه كتاب مناهج البيان في تفسير القرآن لآيه الله الملكى، وقد تمّ إعادته ترتيبه من حيث التوبيخ والعناوين وإضافه بعض المقاطع فى ابتداء كل بحث على غرار كتاب نكاهى به علوم قرآنى (١) كما وأنه قد أُضيفت بعض العناوين وأُعيدت صياغته بعض العبارات بُغية التسهيل.

ولا- يسعنى إلّا الشكر والتقدير لمن ساهم فى نشر هذا الكتاب من أعضاء مؤسسه عالم آل محمدؑ المعارف في تكميل المصادر وإضافه فهرس المصادر والنصوص والتنضيد وترتيب المتن، وأخصّ بالذكر سماحه السيد سجاد المدرسى وسماحه الشيخ غلام رضا الفاضلى وسماحه الشيخ مرتضى الأعداى الخراسانى لما بذلوا من الجهد فى تصحيح الكتاب وتقويم نصّه وتحقيقه.

كما وننوّه على أنّ طباعه الكتاب قد تمّ على نفقه فاضل خيرات المرحوم المؤمن الحاج فائق زيد الكاظميؑ، وسيصرف فى طباعه ونشر كتب أخرى إن شاء الله.

ألتمس فى الختام من الله تعالى أن يتقبل أعمالنا بقبول حسن، ويجعلها فى ميزان حسناتنا يوم القيامة بشفاعه سيّدنا ومولانا الإمام أبى الحسن على بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء.

الثالث من الربيع الأول ١٤٣٥ هـ ق

فاضل حسين الرضوى

مشهد المقدسه

## افضل القرآن

### فضل القرآن ولزوم التدبر فيه

اشاره

١- وقد طبع هذا الكتاب مرتين باهتمام على الملكى الميانجى وترجمه الدكتور على نقى خدايارى.





ص: ٢٥

قد استفاضت النصوص والأخبار في فضل القرآن وقراءته والتدبر فيه والاتعاظ به، والتمسك والالتزام بهديهِ والاستضاءه بنوره، لا سيما عند تراكم أمواج الفتن وتهاجم الشبهات وعروض الفترات؛ وإليك جملة من هذه النصوص القيمة:

### الف القرآن

قال الله تعالى:

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾؛ (١)

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾؛ (٢)

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾. (٣)

والآيات في هذا الباب كثيرة نكتفي بما ذكرناه.

### ب) الأحاديث

١- ص (٣٨)، الآية ٢٩.

٢- الإسراء (١٧)، الآية ٩.

٣- الحشر (٥٩)، الآية ٢١.



ص: ٢٦

ورد في الكافي، عن علي بن إبراهيم مسنداً عن السكوني، عن أبي عبد الله، عن آبائه قال: قال رسول الله:

... فَإِذَا التَّبَسَّ عَلَيْكُمُ الْفِتْنُ، كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفِّعٌ وَمَاجِلٌ مُصَيِّدٌ، وَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ، قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ، سَاقَهُ إِلَى النَّارِ، وَهُوَ الدَّلِيلُ يَدُلُّ عَلَى خَيْرِ سَبِيلٍ... فِيهِ مَصَائِيحُ الْهُدَى وَمَنَارُ الْحِكْمَةِ... (١)

وفيه، عن عده من أصحابنا مسنداً عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله قال:

قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنِّي أَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى ظَهْرِ قَلْبِي، فَأَقْرَأُهُ عَلَى ظَهْرِ قَلْبِي أَفْضَلُ أَوْ أَنْظُرُ فِي الْمُصْحَفِ؟ قَالَ: فَقَالَ لِي: بَلِ اقْرَأْهُ وَأَنْظُرْ فِي الْمُصْحَفِ فَهُوَ أَفْضَلُ؛ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ، عِبَادَةٌ. (٢)

وفي النهج، قال أمير المؤمنين:

وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ

١- الكافي، ج ٢، ص ٥٩٨، ح ٢؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٧، ح ١٦ (الباب الأول من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

٢- الكافي، ج ٢، ص ٦١٤، ح ٥؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٩٦، ح ٤ (الباب ٢٢ من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

ص: ٢٧

إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادِهِ أَوْ نُقْصَانٍ؛ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمَى. وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقِهِ وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنَى، فَاسْتَشْفَوْهُ مِنْ أَدْوَانِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأَوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ؛ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنَّفَاقُ وَالْغَى وَالضَّلَالُ؛ فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ. وَعَلِمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ... وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جَلَاءٌ غَيْرُهُ... (١)

وفى تفسير العياشي، عن أبي عبد الله ع عن رسول الله ص قال:

الْقُرْآنُ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَتَبْيَانٌ مِنَ الْعَمَى، وَاسْتِفَالَةٌ مِنَ الْعَثَرَةِ، وَنُورٌ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَضِيَاءٌ مِنَ الْأَحْزَانِ، وَعِصْمَةٌ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَرُشْدٌ مِنَ الْغَوَايَةِ، وَبَيَانٌ مِنَ الْفِتَنِ، وَبَلَاغٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ، وَفِيهِ كَمَالُ دِينِكُمْ، فَهَذِهِ صِفَتُهُ رَسُولِ اللَّهِ ص لِلْقُرْآنِ؛ وَمَا عَدَلَ أَحَدٌ عَنِ الْقُرْآنِ إِلَّا إِلَى النَّارِ. (٢)

١- نهج البلاغه، الخطبه ١٧٦، ص ٢٥١.

٢- تفسير العياشي، ج ١، ص ٥، ح ٨؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٦، ح ٢٨ (الباب الأول من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

ص: ٢٨

وفى العيون، عن البيهقي مسنداً عن الرضا، عن أبيه عليه السلام أن رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدراسة إلّا غضاظه؟ فقال:

لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُنَزِّلْهُ لَزَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ، وَلَا لِنَاسٍ دُونَ نَاسٍ، فَهُوَ فِي كُلِّ زَمَانٍ جَدِيدٌ، وَعِنْدَ كُلِّ قَوْمٍ غَضٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(١)

### تَجَلَّى الله في القرآن

ورد في البحار، عن الصادق عليه السلام أنه قال:

لَقَدْ تَجَلَّى اللَّهُ لِحَلِيقِهِ فِي كَلَامِهِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يُبْصِرُونَ. (٢)

إنّ القرآن الكريم مؤسّس على الذّكر والتذكّر والبرهان ومعنى كونه ذكراً وتذكّره وبرهاناً، أنّه يدعو الناس إلى ربّهم الظاهر بذاته. وأنّه أجلّ مكاناً وأرفع مقاماً من أن يحتاج في إفاده مقاصده ومراميه إلى التشبّث بغيره من العلوم. من هنا فإنّ القرآن أعظم مذكّر وأجلّ هادٍ للغافلين والناسين، يذكّرهم بالله تعالى وبعد ما أعرضوا عنه تعالى عليه السلام يهديهم ويرشدهم كي يرجعوا إليه، فيشملهم الله برحمته وعطائه ليتوبوا وينبوا إليه.

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٨٧، ح ٣٢ (الباب ٣٢)؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٥، ح ٨ وفيه: (الدرس) بدل (الدراسة).

٢- عوالي اللئالي، ج ٤، ص ١١٦، ح ١٨١؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٧، ح ٢ (الباب التاسع من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

ص: ٢٩

قال أمير المؤمنين □:

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ؛ لِيُخْرِجَ عِيَادَهُ مِنْ عِيَادِهِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ، وَأَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوا، وَلِيَقَرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ؛ فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانُهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوْفِهِمْ مِنْ سَطَوْتِهِ. (١)

### القرآن وعصمته الذاتية

بما أن القرآن معجزه خالده وفرقان والمرجع الباقي الوحيد، المعصوم بذاته فإنه يكون الحجة على ذاته بذاته، والفارق بين الحق والباطل، والصديق والكذب بحجتيته، والمبين لكل ما اختلف فيه الناس في شؤون دينهم ودنياهم. لأن الكتاب الذي يميز بين الحق والباطل يكون لامحاله حجة وبرهاناً على نفسه بأنه الحق المبين وأنه كتاب لا ريب فيه هدى للمتقين.

وقد وصفه الله تعالى بأنه: نور وهداية وذكرى وبيّنات وبصائر وضياء وغيرها من الأوصاف؛ قال تعالى:

□ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا □؛ (٢)

□ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا □. □. (٣)

١- نهج البلاغه، الخطبه ١٤٧، ص ٢٠٤.

٢- الفرقان (٢٥)، الآية ١: إِنَّ مَعْنَى الْفُرْقَانِ لَدَى الْمُؤَلِّفِ هُوَ مَا يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَلَهُ أَجْزَاءٌ وَفُرُقٌ.

٣- النساء (٤)، الآية ١٧٤.

ص: ٣٠

إنّ المراد من البرهان بحسب اللّغه هي الحجّج القاطعه والدليل النورى. (١)

## هيمنه القرآن

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾. (٢)

الظاهر أنّ معنى كونه مهيمناً على الكتب التى بين يديه، هو كونه مراقباً وحافظاً عليها من أن يزداد عليها شىء؛ فما صدّقه القرآن منها فهو الحقّ وما كذّبه فهو الباطل؛ وما لم يصدّقه القرآن من الكتب لم يكن منها.

يقول الإمام زين العابدين ؑ فى دعائه عند ختم القرآن:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْتَنَى عَلَى خَتَمِ كِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ نُورًا، وَجَعَلْتَهُ مُهَيْمِنًا عَلَى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ. (٣)

وفى بحار الأنوار، عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ كِتَابِي الْمُهَيْمِنَ عَلَى كُتُبِهِمْ، النَّاسِخَ لَهَا. (٤)

## ٢- حجّيه ظواهر القرآن

### ظواهر الكتاب

١- راجع: مجمع البحرين، ج ٦، ص ٢١٣؛ تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٨، ص ٥٥؛ مفردات الفاظ قرآن، ص ١٢١.

٢- المائدة (٥)، الآية ٤٨.

٣- الصحيفة السجّاديّة، الدعاء ٤٢، ص ١٧٤.

٤- بحار الأنوار، ج ٩، ص ٢٩٢، ح ٣ (الباب الثانى من أبواب احتجاجات الرسول ﷺ من كتاب الاحتجاج)؛ الاحتجاج، ج ١، ص ٥٠.





ص: ٣٣

من الواضح أن لا إشكال في حجّيه محكمات القرآن الكريم وكذلك لا إشكال في حجّيه ظواهره عند المحقّقين، فإنّ المتسالم عليه في تفسير القرآن هو الاعتماد على الدلالات اللفظية، نصّاً كانت أو ظاهراً؛ فإنّ ظواهر الألفاظ حجّه عند العقلاء في تبين مراداتهم وإفهام مقاصدهم ولم يتخذ الشارع طريقاً خاصاً ومنهجاً جديداً في تعاليمه وبلاغاته. ولا فرق في ذلك بين الكتاب والسنة. ولا يتنافى ذلك مع ما قرّروه في علم الأصول من جواز تخصيص العام وتقييد المطلق؛ فعام الكتاب ومطلقه يخصّص ويقيد بالخاص والمقيّد من الكتاب والسنة المعتبره.

### تمدّي الرسول ﷺ بالقرآن

يظهر من مراجعه تاريخ نزول القرآن وابتداء دعوه النّبى الأعظم ﷺ مسأله حجّيه الظواهر، حيث أنّ رسول الله ﷺ قام بالدعوة الإلهية بهذا القرآن. فهذه دعوته الحقّه إلى قومه من أوّل قيامه إلى آخر عمره الشريف. وأنّه ﷺ قد تحدّاهم بالقرآن وبارزهم به أشدّ المبارزه. وجدّ المشركون وبدلوا كلّ



ص: ٣٤

الجُهد في إطفاء نوره وإبطال دعوته، ولم يتيسر ذلك لهم؛ وقاموا بتكذيبه والمكابره والعناد في قبالة ورموه بالسحر وأنه أساطير الأولين وقالوا - كما يحدثنا القرآن عنهم : ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١) فأعجزهم الله تعالى بهذا البرهان النورى وغلّبهم وجعل كلمته هي العليا وكلمه الذين كفروا السفلى. ولم يتمكن المنكرون مع شدّه غيظهم وحرصهم على المكابره وإبطال نوره، أن يقلّلوا من عظمه القرآن ومجده الباهر شيئاً.

بديهي أن قوام هذه المعارضه والمبارزه وهذه الدعوه الحقّه ليس إلّا بالكلام. ولو أنّهم لم يفهموا ما ألقى إليهم من الحقائق وما أبطل به عاداتهم الوثنيه الجاهليه لما كان هناك دعوه ولا مبارزه ولا تعجيز، ولم ينجرّ الأمر إلى بغيهم وعنادهم وقيامهم بالسيف ومبادرتهم إلى القتال وإزهاق النفوس، وإصرارهم على ذلك كلّ بكل ما يملكون.

أن القرآن الكريم حجّه بين الله سبحانه وبين خلقه؛ وهو حبل ممدود بينه تعالى وبين عباده، عند من عرف لغه القرآن، العريّه.

إنّ الأئمّه - أمروا الناس بالرجوع إليه والتدبّر والتفكر فيه، وجعلوه مرجعاً ومعياراً لصحّه الأخبار وسقمها (٢) وهذا خير شاهد على إمكان فهم القرآن، وعليه يمكن الاتكال على ظواهر القرآن والاستفاده منها في استنباط الأحكام والمعارف.

### مقامات القرآن

١- فضّلت (٤١)، الآية ٢٦.

٢- راجع: الكافي، ج ١، ص ٦٩، ح ٤: قال الإمام الصادق: ﴿مَا لَمْ يُوَافِقْ مِنَ الْحَدِيثِ الْقُرْآنَ فَهُوَ زُخْرُفٌ﴾.

ص: ٣٥

لا يخفى أنه وقع إفراط وتفريط في تلقى علوم القرآن، فقد ذهب البعض إلى إنكار حجته ظواهر القرآن، وآخرون إلى الاستقلال في فهم علومه مطلقاً.

وينبغي النظر والتفريق بين مقامين للقرآن الكريم في مسأله ظواهر آياته وأسلوب تعليمه:

المقام الأول: مقام الدعوه العامه، والقرآن يخاطب في هذا المقام عامه الناس، فيستنير منه جميع الناس بمقدار ما آتاهم الله من العلم.  
المقام الثانى: مقام الدعوه الخاصه، المختصّ برسول الله ﷺ والأئمه ﷺ وأمّا بقيه الناس فلا يمكن لهم الاستفادة من هذا المقام إلّا من خلال التعلّم من أهل الذكر كما ستعرف.

الدعوه العامه

إنّ القرآن في مرتبه دعوته العامه يذكر الناس ويهديهم إلى جميع العلوم الفطريه التى فطرهم الله عليها، من معرفته تعالى ومعرفته توحيده سبحانه. وكذلك يذكر الناس بآياته المخلوقه المصنوعه، ويدعوهم إلى التدبّر فيها ومعرفته أسرارها التى تنادى بأعلى صوتها على وجود الصانع الحكيم.

وحيث إنّ القرآن هدايه وإرشاد إلى جميع العلوم الفطريه التى يتمكّن الناس من نيلها وإدراكها، وما ألهمهم الله تعالى من فجورهم وتقواهم، فإنّهم يتذكّرون بضياء المعرفه وشعاع العقل، ويستنبرون بها عند مخاطبه الله تعالى إياهم بما يعظّمهم ويرشدهم فيستأديهم ميثاق فطرته، ويثير فيهم

ص: ٣٦

دقائق العقول، فيأخذهم بالإيمان والإقرار بما وجدوا وعلموا ببداهه عقولهم، من الحقائق والمعارف والمحسِّنات والمقبَّحات والمنكرات الضروريَّة، وبالجمله فإنَّه المذكَّر للمستقلَّات العقليَّة المصطلحه عند الفقهاء على عرضها العريض؛ وخاصَّه الانتهاء والاجتناب من كلِّ فاحشه وقيحه، والقيام بكلِّ أمر معروف حسن.

ويبشَّروهم سبحانه بحنانه ووفائه لأهل الوفاء له تعالى، من المحسنين والمُتقين، وبما وعدهم من مواهبه الكريمه وعطاياه الهنيئه، ويهدِّدوهم بانتقامه وسطواته ونقماته على الظالمين والمتكبرين والمستكبرين في الدنيا. ويبين لهم ما تؤول إليه عاقبه أمر المُتقين والمحسنين، والطاغين والظالمين والمستكبرين، في ضمن القصص والأمثال. ويحدِّروهم جلَّ مجده، عن إساءه الأدب في حريمه، وإضاعه حقوقه الحقَّه في السرِّ والعلانيه ويزكِّي ويظهر بذلك ظاهروهم وباطنوهم.

والحاصل: أنَّ القرآن حجَّه لجميع الناس في مرحله الدعوه العامه فيجب التدبُّر والاستبصار والاهتداء والاستضاءه والانتماء به، وإلتماس غرائبه وعجائبه. وقد ذكرنا أنَّ في هذه المرتبه من العلوم والحقائق ما يبهر العقول، ولا يمكن تحديده لسعه أطرافه وانتشار مراميه، فالقرآن بهذا الاعتبار إمام يقود إلى الجنه ويهدي للتي هي أقوم؛ وهو بصائر وذكرى، وضياء ونور، وهدى للمُتقين والمُخبتين وأولى الأبصار، وغير ذلك من نعوت القرآن الجليله. وفيه أمَّهات المسائل الأخلاقيه وتحديد رسوم العبوديَّه بأجلى بيان وأنور برهان.

**درجات الفهم في تلقى الدعوه العامه**

ص: ٣٧

إنّ القرآن الكريم حَيَّه على جميع الناس في مرتبه الدعوه العامه، فيلزم عليهم جميعاً أن ينظروا فيه بدقه وأن يستنبطوا من أنواره ويأتروا بأوامره وينتهوا عن زواجره ويتعمقوا في عجائبه وغرائبه. إنّ هذه المرتبه من علوم القرآن محيره للعقول ولا يمكن تحديدها لسعتها، إلّا أنّ الناس يختلفون في نيل هذه المعارف والحقائق وإدراكها؛ فيهتدون إليها على قدر بصيرتهم، ويستنبطون بها على سعه نور فطرتهم، سيّما بعد ملاحظه تقواهم وقيامهم بالعمل بما يعرفون ويعلمون؛ فيزيد الله الذين اهتدوا هدىً ويؤتيهم تقواهم.

وهذا البحث يحتاج إلى بيان أوسع، نكتفى بهذا المقدار.

ورد في الاحتجاج، في احتجاج عليّ عليه السلام على زنديق بآي من القرآن متشابهه، تحتاج إلى التأويل أنّه قال:

... ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ لَسَيِّعَهُ رَحْمَتَهُ وَرَأْفَتِهِ بِخَلْقِهِ وَعِلْمِهِ بِمَا يُحْدِثُهُ الْمُبْطُلُونَ مِنْ تَغْيِيرِ كِتَابِهِ، قَسَمَ كَلَامَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: فَجَعَلَ قِسْماً مِنْهُ يَعْرِفُهُ الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ، وَقِسْماً لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ صَفَا ذَهْنُهُ، وَلَطُفَ حِسُّهُ، وَصَحَّ تَمَيُّزُهُ مِمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَقِسْماً لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا اللَّهُ وَأَمَّاؤُهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ؛ وَإِنَّمَا فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لِئَلَّا يَدَّعَى أَهْلُ الْبَاطِلِ مِنَ الْمُسْتَوِلِينَ عَلَى مِيرَاثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ، مَا لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُمْ، وَلِيُقَوِّدَهُمْ

ص: ٣٨

الاضطرارُ إِلَى الْإِيْتِمَارِ لِمَنْ وَلَّاهُ أَمْرَهُمْ؛ فَاسْتَكْبَرُوا عَنْ طَاعَتِهِ تَعَزُّزًا وَافْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَاعْتِرَارًا بِكَثْرَةِ مَنْ ظَاهَرَهُمْ وَعَاوَنَهُمْ وَعَانََدَ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ وَرَسُولُهُ (١)... □

يظهر من كلام الإمام □ أن مرتبه الدعوة العامه مع عموميتها تنقسم إلى قسمين: قسم يشترك فيه العالم والجاهل وقسم لا يعرفه إلا من صفا ذهنه ولطف حسه. لأن مراتب الناس تختلف في تلقى الدعوة العامه بلحاظ الفهم ودرجات إيمانهم وطهاره نفوسهم وسعه علمهم بمعارف الدين وأصول الأخلاق والتذكر بالمستقلات العقلية.

أما مرتبه الدعوة الخاصه فإن العلم بها ينحصر بالله وأمنائه الراسخين فى العلم. وأما غيرهم فيتعلمون حلال القرآن وحرامه منهم بمقدار ما أراد الله وسعوا إليه، ويتمكنوا بذلك من حمل الكليات على الجزئيات وردّ الفروع إلى الأصول. وفيهم الفقيه والأفقه، حتى أن منهم من لا يتمكن من استنباط الفروع من جوامع الكلم وأصول العلم ومواده، بل يكون حاملاً لعدّه من فتاوى الراسخين، وهذا أيضا مقام من الفقاهه وهكذا فإنّ فوق كلّ ذى علم عليم. حتى قيل: ما نشأ فى الاسلام أفقه من سلمان. (٢)

### الدعوة الخاصه

- ١- الاحتجاج، ج ١، ص ٢٥٣؛ البرهان فى تفسير القرآن، ج ٥، ص ٨٣٨، ح ١.
- ٢- قال فى معجم رجال الحديث، ج ٨، ص ١٩٤: حكى عن الفضل بن شاذان أنّه قال: ما نشأ فى الإسلام رجل من كافه الناس كان أفقه من سلمان الفارسيّ. راجع: رجال الكشيّ، ج ١، ص ٦٨.

ص: ٣٩

إنّ ما ذكرناه من أنّ القرآن ينقسم إلى مقامين؛ مقام الدعوة العامّة والدعوة الخاصّة، أمر لا ريب فيه ولا يحتاج إلى إقامة دليل عقلّي أو نقلّي. وإنّما الكلام في أنّ القرآن المجيد، هل تنحصر علومه ومعارفه وحقائقه بهذه المرتبة العامّة التي يشترك فيها العالم والجاهل كي يكون القرآن شرعه لكلّ وارد يردها واحد بعد واحد، أو أنّ له ما عدا هذه المرتبة معارف وعلوم وقوانين وعبادات ومكارم وكرائم اختصّ بحملها وفهمها أولوا الأبواب والأبصار؛ وهي أجلّ وأعلى من أن تناله العقول. كيف؟! وهو الكلام الذي تكفّل بجميع التعاليم العاليّة بالنسبة إلى جميع الأشخاص في كلّ عصر ومصر، من الكمالات الربوبيّة والأسماء والصفات، وجميع العوالم، وشرائعهم وقوانينهم بالنسبة إلى دنياهم وعباداتهم وتكاملهم ورقيهم إلى أقصى الكمالات الممكنة نيلها، متأبّ ومقدّس عن التقيّد بفهم عصر وقوم. وإنّما يفهمون بمقدار عقولهم ويستضيئون على حسب مقدار أنوارهم لا على حسب أمواج الأنوار المودعة فيه. فعلم القرآن بجميع شؤونه وشعبه الوسيعة، لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم. وهم الهادون والمعلّمون لعلوم القرآن، وهم المسؤولون عن تربيته الأمم والملل في كلّ عصر وزمان، وعلم القرآن بهذا المعنى خاصّ برسول الله ﷺ فهو المعلّم المكمل، والهادي المصلح ومن بعده يرث هذا العلم الخاصّ بمقام الرسالة، أو صياؤه بعنوان الخلافة والإمامة، فمن ادّعى علم القرآن بهذا المعنى مع جميع جوانبه وجوامعه فهو كاذب أو خابط، إذ ما ورث هذا العلم إلّا الخاصّ من ذريّة نبيّنا ﷺ وأمّا غيرهم فما ورثوا منه حرفاً لا قليلاً ولا كثيراً.

ص: ٤٠

خلاصه الكلام: إنَّ مَنْ علم علوم القرآن في مرتبه دعوته العامه فقط، وإن صار واجداً لبعض شرائط الفقاهه، إلّا أنّه لا يصير بذلك جامعاً لشرائط الإفتاء والقضاء، ولا يكون عالماً بتفصيل علوم القرآن وشرائعه وأحكامه، والعلم بكيفيته ابتداء خلق العوالم من عالم الغيب والشهادة؛ وكذلك لا يكون عالماً وعارفاً بالمعارف الربوبيه من توحيده تعالى وعلمه وقدرته وحياته وغيرها من معاني أسمائه ونعوته سبحانه، وكذلك العلم بعوده الإنسان ورجوعه إلى الآخرة بعد انقضاء الدنيا وانحلالها؛ فلا بدّ في جميع ذلك من الرجوع إلى الرسول الأكرم والتعلّم والأخذ منه.

إذا عرفت ما ذكرنا من وجود مقامين متمايزين في باب علوم القرآن ومعارفه نقول: لا يجوز خلط مرتبه الدعوه العامه بمرتبه علومه الخاصه التي تختصّ بالرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ. لأنّ الرسول ﷺ وخلفاءه لا يكونوا مع الناس في مرتبه واحده، فهو ﷺ المعلم السائق والمكمل الهادي وأنّ قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (١) أُريد منه الخاص. إذ لا يكون كلّ من كان له نصيب من علم القرآن في مرتبه البلاغ والدعوه العامه، عالماً وشاهداً بجميع ما أمر الرسول ﷺ ببلاغه. فلا يتمكّن من الشهاده على صدق الرسول ﷺ في جميع ما أتى به إلّا من كان عالماً بعلم الكتاب كلّّه، ظاهره وباطنه، وجميع جوانبه ونواحيه. وكذلك المراد من نظائره من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً

ص: ٤١

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (١) □ وقوله: □ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٢) □.

### الجمع بين الروايات

تقدم أن لعلوم القرآن مقامين: مقام مخاطبه عامه الناس، ومقام يختص برسول الله □ ومن بعده من أهل بيته □ ورثه علم القرآن. وإنَّ الباحثين في العلوم القرآنية حيث لم يفرّقوا بين هذين المقامين اضطربت آراؤهم وكلماتهم في ذلك؛ فمنهم من قال بالاستقلال في علوم القرآن مطلقاً ومنهم من قال بعدم حجّيه ظواهر القرآن. والروايات الواردة في هذا الباب ناظرة إلى المقامين.

فما يرد منها في الحث والترغيب إلى التدبّر والتفكر في آيات القرآن الكريم، ناظر إلى المقام الأول أي مرتبه الدعوه العامه كقوله □:

فَإِذَا التَّبَسَّطَ عَلَيْكُمُ الْفِتْنُ، كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ (٣)

وما يمنع منها عن الاستقلال بالقرآن وعدم جواز التمسك به، إنّما هو ناظر إلى المقام الثاني أي العلوم القرآنية التي تختص برسول الله □ وأولاده المعصومين □. كقول أمير المؤمنين □: إِيَّاكَ أَنْ تُفَسِّرَ الْقُرْآنَ

١- البقره (٢)، الآية ١٤٣.

٢- النساء (٤)، الآية ٤١.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٥٩٨، ح ٢؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٧، ح ١٦ (الباب الأول من أبواب فضله وأحكامه واعجازه من كتاب القرآن).



بِرَأْيِكَ، حَتَّى تَفْقَهُهُ عَنِ الْعُلَمَاءِ (١). ولو تأمل متأمل حق التأمل لعرف أنه لا يوجد تنازع وتعارض بينها.

### القرآن كتاب تعليمي

واضح أن سيرته ﷺ في زمان حياته في نشر العلم، لم تكن إلا مثل قضيه إفتاء الفقيه للعوام المقلده في الحوادث الجارية. وليس هذا من باب تعليم علوم القرآن من حيث جميع جوانبه ونواحيه.

لكن حقيقه الأمر أن رسول الله ﷺ قد قام بهذا الأمر الخطير، وبين بياناً شافياً، وعلم القرآن كله من حيث جميع نواحيه وأبعاده، بما يحتاج إليه الكل من المعارف والأحكام إلى انقضاء الدنيا، وما ترك شيئاً من ذلك، وأودعه عند رجل معصوم من أهل بيته، مؤيداً بروح القدس، وعالماً بالعلم الحقيقي المصون المعصوم بذاته؛ وهو على أمير المؤمنين ﷺ الذي عنده ميراث العلم والنبوة وورثه أوصياؤه المعصومون من بعده صادق بعد صادق، وإنهم يكتزونهم كما يكتز الناس ذهبهم وفضتهم، وما ضاع عنهم شيء، ولا يسقط عنهم «ألف» ولا «واو». فمن ادعى علم القرآن جميعه غيرهم، فإنما هو مفتر كذاب.

وقد صرح الأئمة من أهل البيت بجميع ما ذكرناه في أبواب من

١- التوحيد، ج ١، ص ٢٥٤، ح ٥؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٧، ح ٢ (الباب العاشر من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

ص: ٤٣

الروايات المتكاثرة فوق التواتر؛ منها الرواية المتواترة عند الفريقين: وهى قوله ﷺ «إِنِّى تَارِكٌ فِىكُمْ الثَّقَلَيْنِ...» الصريحه بأنَّ خلافه القرآن والعتره وحجَّتَيْهما، خلافه اجتماعيه. ومنها الروايات الواردة فى أنَّهم يرثون علم القرآن دون غيرهم.

كما ورد عن الصدوق فى علل الشرايع، عن أبيه ومحمد بن الحسن مسنداً عن أبى زهير بن شبيب بن أنس، عن بعض أصحابه، عن أبى عبد الله ﷺ قال: كنت عند أبى عبد الله... فقال (لأبى حنيفة):

...أَنْتَ فَقِيهُ أَهْلِ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَبِمَا تُفْتِيهِمْ؟ قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ. قَالَ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ تَعْرِفُ كِتَابَ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ وَتَعْرِفُ النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ لَقَدْ ادَّعَيْتَ عِلْماً، وَيَلِكُ مَا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ، وَيَلِكُ وَلَا هُوَ إِلَّا عِنْدَ الْخَاصِّ مِنْ ذُرِّيَةِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَمَا وَرَثَتُكَ اللَّهُ مِنْ كِتَابِهِ حَرْفًا... (١).

والأحاديث فى هذا الباب كثيره فمن أرادها، فليراجع جوامع أحاديث الشيعة. (٢)

## التعليم والتذكير

١- علل الشرايع، ج ١، ص ٨٩، ح ٥ (الباب ٨١)؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٩٣، ح ١٢ (الباب ٣٤ من أبواب العلم من كتاب العقل والعلم والجهل).

٢- راجع: وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٣٥ (الباب السادس من أبواب صفات القاضى... من كتاب القضاء)؛ بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٢٠٥، ح ٨ و ٩ و ص ٢١٦، ح ١٧ و ص ٢٢٠، ح ٢٠، ٢١ و ٢٢ (الباب ١٣ من أبواب احتجاجات أمير المؤمنين ﷺ من الاحتجاج).

ص: ٤٤

ينبغي التفريق بين مقام التعليم ومقام التذكير والإرشاد. لأنَّ الإرشاد عبارة عن إيقاظ الفطره، وإثارة دفائن العقول، وتحريك العواطف الروحانيه، والأخذ بمجامع القلوب بأنوار التوحيد، والتذكُّر بمقام الربِّ، والتوجُّه إلى وجوب الاتِّقاء، والخضوع لساحه قدسه، والعكوف في حضرته، والإخبات والقنوت بين يديه، ومدارج الزهد ومراتب الإخلاص، والتوكُّل والرجاء، والصبر والصدق، والوفاء والإيمان واليقين، وبالجمله جميع أصول الأخلاق ولطائف المعارف ورسوم العبوديَّه، وإنَّما يكون ذلك كَلَّه في مرتبه الدعوه العامه ممَّا يمكن نيله للبشر، وبيان الرسول ﷺ والأئمَّه ﷺ في هذا الباب لا يكون إلَّا تذكُّراً وإرشاداً.

وأما مقام التعليم أعلى وأجل من أن تبلغه عقول الرجال وفي غايه البعد عن سطح أفكارهم. ومن أظهر مصاديق هذا الباب تفاصيل الأحكام المودَّعه عند الرسول ﷺ والأئمَّه من أهل بيته ﷺ. وكذلك غير الأحكام من المعارف العاليه مثل بيان الأسماء والصفات الإلهيَّه، وحقيقه العرش والكرسى واللَّوح، والكتاب المبين، والأرواح والبرزخ، وتفاصيل عالم الآخره ومصير العباد ومعادهم فإنَّهم يلقونها إلى الناس تدريجاً.

فَتَحَصَّلَ أنَّ مقام التعليم والهدايه والدلاله لرسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ غير مقام التذكير والإرشاد. فإنَّ الثاني، إنَّما يكون في مقام الدعوه العامه وفي العلوم التي تنالها العقول والأفهام على اختلاف مراتبهم. وأما المقام الأول

ص: ٤٥

فأكثر موارده لا يزيد على التعبد شيئاً، فلا يكون المتعلم واجداً له لكون أكثر موارده تحت حُجُب الغيوب مثل الأحكام ومنازل الآخرة.

ومما ذكرنا من لزوم التمايز بين مقام التعليم والتذكير يظهر ضعف النظرية التي وردت في الميزان، حيث استظهر وقال:

ومن هنا يظهر أنّ شأن النبي ﷺ في هذا المقام هو التعليم فحسب. والتعليم إنّما هو هداية المعلم الخبير ذهن المتعلم وإرشاده إلى ما يصعب عليه العلم به والحصول عليه، لا ما يمتنع فهمه من غير تعليم... (١)

إنّ القرآن كلام الله الذي كلّم به خلقه عن طريق رسوله ﷺ وقد جرى على لسانه، وليس هو والناس في تلقى علومه في درجه واحده. ولا يعقل استقلال المخاطبين واستغناؤهم عنه ﷺ في تحصيل علومه ولا- يعقل تنزيله منزله الأفراد العاديين وعزله عن مقام المرجعية لعلوم القرآن. ولا- يجوز تنزيل شأن القرآن وتحقيره والقول بأنّ علومه ومعارفه مميّنا يبالغها الكلّ. ولا يعقل أن يقال: إنّ رسول الله ﷺ جمع ما عنده من علوم القرآن للصّحابة وإنّهم فسّروا جميع القرآن للناس؛ بل إنّ القرآن بالنسبة إلى تفاصيل علومه الخاصّة يحتاج إلى انضمام بيان الرسول ﷺ في عصره وبيان أوصيائه ﷺ من بعده وأنّ لهما الخلافة الانضماميّة من هذه الجهة. وقد صرّح الرسول ﷺ بذلك في قوله:

إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اللَّهِ

ص: ٤٦

وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ. (١)

وواضح أنَّ خلافه القرآن والعترة وحجيتهما جمعيه لا استقلاليه، فعلى سبيل المثال أنَّ القرآن قد صرَّح بوجوب الحجِّ ولم يبيِّن أعمال الحجِّ تفصيلاً وأنَّ تفسير وتبيين هذه الأعمال تكون على عهده الرسول ﷺ. وقد صرَّحت نصوص القرآن ومحكماته على وجوب وجود الوليِّ المعصوم إلَّا أنَّه لم يذكر اسمه ومميزاته الشخصيَّة وإنَّما عرَّفه الرسول ﷺ بشخصه واسمه. وقد صرَّح أيضاً على وجود الجنَّة والنَّار وبين الرسول ﷺ التفاصيل المرتبطة بهما، وهكذا فإنَّ الشرح والتفسير لجميع العلوم القرآنيَّة تقع على عاتق النبيِّ ﷺ أصالةً وعلى أهل بيته ﷺ وراثهً وإنَّ سنَّه الفقهاء قدَّس الله أسرارهم هو الالتزام في موارد استنباط الأحكام، بالسنن المعتمدة. وقد صرَّحوا بعدم جواز العمل بالعمومات والمطلقات قبل الفحص عن مخصِّصاتٍ ومقيِّداتٍها، وكذلك الكلام في غير باب الأحكام في العلوم والمعارف التي يختصُّ العلم بها برسول الله ﷺ وأولاده المعصومين ﷺ.

وكذلك صرَّحوا بجواز تخصيص عمومات الكتاب بالخبر الواحد الواجد لشرائط العمل، فعلى هذا لا إشكال في الاستناد على أخبار الآحاد المعتمدة في تفسير الآيات الراجعة إلى الأحكام، والإفتاء على مفادها وبعد الفحص عن القيود والشرائط واليأس عن الظفر بها تكون الآيه حجة، ويجب العمل على طبقها.

### ١٣ الإِنزال والتَنزيل

#### الإِنزال والتَنزيل في القرآن والحديث ﷺ

□

١- كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٢٣٧، ح ٥٤ (الباب ٢٢)؛ بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٣٤، ح ٧١ (الباب السابع من أبواب جمل أحوال الأئمة ﷺ من كتاب الإمامه).





ص: ٤٩

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ (١). □.

القرآن هو الكتاب المنزل على رسول الله □، ومن أظهر نعوته وشؤونه أنه كلام الله، أوجده كلاماً وأظهر في كلامه جلاله وجماله، وبزّه وقهره وعلومه، وأعجز ببراهينه جميع المخالفين والبراهين، وهذا هو الذي أوجب الحيرة والعجب، أي كيف أظهر الله هذه المعارف والعلوم بهذه الحروف في نظامٍ بديعٍ وإتقانٍ وإحكامٍ عجيبٍ أبهر العقول ببرهانه.

فهذا الكتاب الذي هو كلام الله يسمى قرآنًا؛ والقرآن مصدر من قرأ يقرأ على فعلان بمعنى القراءة والتلاوة. (٢) فسمى الكتاب الكريم المنزل على رسول الله □ قرآنًا باعتبار أنه مقرأ ومتلو وهو من جنس ما يقرأ وما

١- البقرة (٢)، الآية ١٨٥.

٢- راجع: تاج العروس، ج ١، ص ٢١٨ «مأذة: قرأ».



ص: ٥٠

يُتْلَى، وهذا من باب إطلاق الكتاب على المكتوب. قال تعالى:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ \* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (١). (٢)

ويسمى فرقاناً أيضاً باعتبار فرقه وأبعاضه. قال تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٢).

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (٣). (٤)

في معاني الأخبار، عن أبيه مسنداً عن ابن سنان وغيره، عمن ذكره قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن القرآن والفرقان، أهما شيان أو شيء واحد؟ قال:

الْقُرْآنُ جُمْلَةُ الْكِتَابِ وَالْفُرْقَانُ الْمُحْكَمُ الْوَاجِبُ الْعَمَلُ بِهِ. (٤)

وفي تفسير القمّي، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (ع) قال: سألت عن قول الله تبارك وتعالى ﴿...هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾؟ (٥)

قَالَ: الْفُرْقَانُ هُوَ كُلُّ أَمْرٍ مُحْكَمٍ، وَالْكِتَابُ هُوَ جُمْلَةُ الْقُرْآنِ الَّذِي يُصَدِّقُهُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. (٦)

١- القيامة (٧٥)، الآيات ١٧ ١٨.

٢- الفرقان (٢٥)، الآية ١.

٣- الأسراء (١٧)، الآيات ١٠٥ ١٠٦.

٤- معاني الأخبار، ص ١٨٩، ح ١؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٨، ح ٣٢ (الباب الأول من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

٥- آل عمران (٣)، الآية ٤.

٦- تفسير القمّي، ج ١، ص ٩٦؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٦، ح ١٣.

ص: ٥١

وفى العلل، عن الحسين بن يحيى مسنداً عن يزيد بن سلام، أنه سأل رسول الله ﷺ فقال له: لم سمى الفرقان فرقاناً؟ قال: **لأنه مَنفَرَقُ الآياتِ والسُّورِ أنزلت في غير الألواح، وغيره من الصُّحُفِ والتَّوراةِ والإنجيلِ والزُّبورِ نزلت كلها جُملةً في الألواح والورق.** (١)

وفى الصحيحه المباركه السجاديّه في دعائه ﷺ عند ختم القرآن قال:

**وَفَرَقَانًا، فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلَالِكَ وَحَرَامِكَ. (٢)**

ويسمى كتاباً أيضاً، والكتاب بمعنى المكتوب؛ وهو بمعنى الجمع كما أن القرآن أيضاً قد يجيء بمعنى الجمع.

قال في لسان العرب:

والكُتُبُ: الجمع. تقول منه: كُتِبْتُ البغلة إذا جمعت بين شُفَرَيْهَا بِحَلْقِهِ أو سِيرٍ... ومنه قيل: كُتِبْتُ الكتاب لأنه يَجْمَعُ حَرْفاً إلى حرفٍ. (٣)

فعلى هذا لا بد أن يكون الفرقان والقرآن والكتاب كلاماً مفترقاً ومتلوّاً.

ثم هاهنا سؤال: لو كان نزول القرآن في ثلاث وعشرين سنة فما معنى نزوله في شهر رمضان أو ليلة القدر؟

### رأى صاحب الكشف والمنار

١- علل الشرائع، ج ٢، ص ٤٧٠، ح ٣٣ (الباب ٢٢٢)؛ بحار الأنوار، ج ٩، ص ٣٠٤، ح ٨ (الباب الثاني من أبواب احتجاجات الرسول ﷺ من كتاب الاحتجاج).

٢- الصحيحه السجاديّه، الدعاء ٤٢، ص ١٧٦.

٣- . لسان العرب، ج ١، ص ٧٠١.

ص: ٥٢

أجاب الزمخشري في الكشف:

ومعنى **﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾** (١) **﴿ابتدى﴾** فيه إنزاله؛ وكان ذلك في ليلة القدر. (٢)

وقال صاحب المنار:

وأما معنى إنزال القرآن في رمضان مع أن المعروف باليقين أن القرآن نزل منجماً متفرقاً في مدّة البعثه كلّها، فهو أن ابتداء نزوله كان في رمضان وذلك في ليلة منه سميت ليلة القدر... على أن لفظ القرآن يطلق على هذا الكتاب كله ويطلق على بعضه. (٣)

أقول: أما كون المراد من نزوله في شهر رمضان، ابتداء نزوله فيه، ففيه: أنه لا قرينه في الكلام عليه، على أنه مخالف لما هو المشهور عند الإمامية من أن أول البعثه ونزول الوحي عليه، كان في اليوم السابع والعشرين من رجب. وأما أهل السنّة فلم يتفقوا على أمر وتضاربت آرائهم في المقام والمشهور بينهم كما ذكره السيوطي في الإتيان (٤) أن النبي **﴿بُعث﴾** في شهر ربيع الأول.

وأما كون المراد منه، نزول بعضه لا مجموعه؛ ففيه: أن هذا المعنى لا اختصاص له بشهر رمضان، فإنّ النزول بالمعنى الذي ذكره لا تخلو منه جميع الشهور، فأى تشريف وتكريم فيه لشهر رمضان؟

### نظريته صاحب الميزان

- ١- البقره (٢)، الآية ١٨٥.
- ٢- الكشف، ج ١، ص ٢٢٧.
- ٣- المنار، ج ٢، ص ١٦١.
- ٤- الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٥.

ص: ٥٣

قال في الميزان:

والَّذِي يعطيه التدبّر في آيات الكتاب أمر آخر، فإنّ الآيات الناطقه بنزول القرآن في شهر رمضان أو في ليلة منه، إنّما عبّرت عن ذلك بلفظ «الإنزال» الدالّ على الدفعه دون «التنزيل»... واعتبار الدفعه؛ إمّا بلحاظ اعتبار المجموع في الكتاب أو البعض النازل منه...، وإمّا لكون الكتاب ذاحقيه أُخرى وراء ما نفهمه بالفهم العاديّ الذي يقضى فيه بالتفريق والتفصيل والانبساط والتدريج، هو المصحح لكونه واحداً غير تدريجيّ ونازلاً بالإنزال دون التنزيل. وهذا الاحتمال الثاني هو اللائح من الآيات الكريمه كقوله تعالى: ﴿كَتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾. فإنّ هذا الإحكام مقابل التفصيل، والتفصيل هو جعله فصلاً فصلاً، وقطعه قطعه. فالإحكام كونه بحيث لا يتفصّل فيه جزء من جزء ولا يتميّز بعض من بعض لرجوعه إلى معنى واحد لا- أجزاء ولا- فصول فيه. والآيه ناطقه بأنّ هذا التفصيل المشاهد في القرآن إنّما طرأ عليه بعد كونه محكماً غير مفصّل.

وأوضح... منه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾... إلى أن قال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا

ص: ٥٤

يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴿١﴾ فَإِنَّ الْآيَاتِ الشَّرِيفَةَ وَخَاصَّهُ مَا فِي سُورَةِ يُونس ظَاهِرُهُ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ التَّفْصِيلَ أَمْرٌ طَارٍ عَلَى الْكِتَابِ فَنفْسُ الْكِتَابِ شَيْءٌ وَالتَّفْصِيلُ الَّذِي يَعْرِضُهُ شَيْءٌ آخَرٌ... .

وأوضح منه قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ \* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ \* إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ \* وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَمَدِينًا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ ﴿٢﴾، فَإِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ هُنَاكَ كِتَابًا مُبِينًا عَرَضَ عَلَيْهِ جَعْلُهُ مَقْرُوءًا عَرَبِيًّا، وَإِنَّمَا أُلْبَسَ لِبَاسَ الْقِرَاءَةِ وَالْعَرَبِيَّةَ لِيَعْقِلَهُ النَّاسُ وَإِلَّا فَإِنَّهُ وَهُوَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ عِنْدَ اللَّهِ عَلِيٌّ لَا يَصْعَدُ إِلَيْهِ الْعُقُولُ، حَكِيمٌ لَا يَوْجَدُ فِيهِ فَصْلٌ وَفَصْلٌ. وَفِي الْآيَةِ تَعْرِيفٌ لِلْكِتَابِ الْمُبِينِ، وَأَنَّهُ أَصْلُ الْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ. وَفِي هَذَا الْمَسَاقِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿...إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ \* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣﴾ فَإِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ مَوْقَعًا هُوَ فِي الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ لَا يَمَسُّهُ هُنَاكَ أَحَدٌ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَنَّ التَّنْزِيلَ بَعْدَهُ، وَأَمَّا قَبْلَ التَّنْزِيلِ فَلَهُ مَوْقِعٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ عَنِ الْأَغْيَارِ؛ وَهُوَ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ فِي آيَاتِ الزَّخْرِفِ بِأُمِّ الْكِتَابِ وَفِي سُورَةِ الْبُرُوجِ بِاللُّوْحِ الْمَحْفُوظِ... .

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْمَعْنَى أَعْنَى كَوْنِ الْقُرْآنِ فِي مَرْتَبَةِ التَّنْزِيلِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكِتَابِ الْمُبِينِ وَنَحْنُ نَسَمِّيهِ بِحَقِيقَةِ الْكِتَابِ بِمَنْزِلَةِ اللَّبَاسِ مِنْ

١- يونس (١٠)، الآيات ٣٧ و ٣٩.

٢- الزخرف (٤٣)، الآيات ١ و ٤.

٣- الواقعة (٥٦)، الآيات ٧٧ و ٨٠.

ص: ٥٥

المتلبس، وبمنزله المثال من الحقيقة، وبمنزله المثل من الغرض المقصود بالكلام؛ وهو المصحح لأن يطلق القرآن أحياناً على أصل الكتاب... وهذا الذي ذكرناه هو الموجب لأن يحمل قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (١)، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ (٢)، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (٣)، على إنزال حقيقة الكتاب، والكتاب المبين إلى قلب رسول الله ﷺ دفعه كما أنزل القرآن المفصل على قلبه تدريجاً في مدة الدعو النبوي... فهذا ما يهدي إليه التدبر ويدل عليه الآيات. نعم، أرباب الحديث، والغالب من المتكلمين والحسيون من باحثي هذا العصر لما انكروا أصله ما وراء المادة المحسوسة، اضطروا إلى حمل هذه الآيات... على أقسام الاستعارة والمجاز، فعاد بذلك القرآن شعراً منشوراً. (٤)

### تحليل ونقد

حاصل كلامه أن القرآن في مرتبه تجرده عن كسوة المواد والألفاظ، لا تفرق ولا تبعض ولا تفصيل فيه؛ وهو الذي ورد على قلب الرسول ﷺ دفعه فعلم به حقيقة القرآن ثم بعد تنزله على عالم الألفاظ برز بصورة الألفاظ

١- البقرة (٢)، الآية ١٨٥.

٢- الدخان (٤٤)، الآية ٣.

٣- القدر (٩٧)، الآية ١.

٤- الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٩١٤.

ص: ٥٦

والحروف؛ فالنزول الدفعي في شهر رمضان، في ليله القدر هو نزول حقيقه الكتاب، والكتاب المبين على قلب رسول الله ﷺ. والنزول التدريجي هو نزوله نجوماً وتدرجاً من بدء بعثته ﷺ إلى حين دعوته.

هذا الذي ذكره تفسير بالرأى لا شاهد عليه ويظهر وهنه بما يلي :

أولاً: إنّ القرآن قبل تلّسه بكسوه الألفاظ لا- يسمّى قرآناً ولا- فرقاناً ولا كتاباً ولا كلاماً، لأنّ القرآن كما ذكرنا يطلق على مجموع المقرّ والمتلوّ.

ثانياً: ما ذكره من أنّ لفظ «الإنزال» يدلّ على النزول الدفعي ولفظ التنزيل على النزول التدريجي لا شاهد عليه لأنّه:

١ لا دليل على ذلك في اللغة، لا من حيث المادّه ولا من الهيئته.

قال في لسان العرب:

و«تَنَزَّلَهُ» و«أَنزَلَهُ» و«نَزَّلَهُ» بمعنى واحد، قال سيّويه: وكان أبو عمرو يفرّق بين «نَزَّلْتُ» و«أَنزَلْتُ» ولم يذكر وجه الفرق. قال أبو الحسن: لا فرق عندي بين «نَزَّلْتُ» و«أَنزَلْتُ» إلّا صيغه التّكثير في نَزَّلْتُ في قراءه ابن مسعود. وأنزل الملائكه تنزيلاً، أنزل كنزلاً. (١)

ورد في تاج العروس:

و«نَزَّلَهُ تَنْزِيلاً» و«أَنزَلَهُ إِنْزَالاً» ومُنَزَّلاً كَمَجْمَل و«إِسْتَنْزَلَهُ»، بمعنى واحد. (٢)

١- لسان العرب، ج ١١، ص ٦٥٦.

٢- تاج العروس، ج ١٥، ص ٧٢٨.

ص: ٥٧

قال صاحب المصباح المنير:

و«أَنْزَلْتُهُ» و«نَزَّلْتُهُ» و«اسْتَنْزَلْتُهُ» بمعنى «أَنْزَلْتُهُ». (١)

وفى الصحيفة المباركة السجادية في دعائه □ عند ختم القرآن قال:

وَوَحِيًّا أَنْزَلْتُهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنْزِيلًا... (٢)

٢ إن استعمال الإنزال في موارد التدرج غير عزيز في القرآن الكريم. قال تعالى:

□وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا □؛ (٣)

□لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ □؛ (٤)

□وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ □؛ (٥)

□وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا □. (٦)

لقد عبر القرآن في الآية الأخيرة عن النزول التفصيلي بالإنزال مع أن صاحب الميزان يؤكد في كلامه على التعبير عن النزول التفصيلي بالتنزيل لا الإنزال.

١- المصباح المنير، ج ٢، ص ٦٠١.

٢- الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٢، ص ١٧٦.

٣- البقرة (٢)، الآية ١٧٠.

٤- الحشر (٥٩)، الآية ٢١.

٥- البقرة (٢)، الآية ٩٩.

٦- الأنعام (٦)، الآية ١١٤.



ص: ٥٨

فمواضع استعمال الإنزال في مرتبه التدرج كثيره واكتفينا بما ذكرنا من الآيات، فيجب على الباحث الخبير، التأمل والفحص والتدبر فيها.

وأما استعمال لفظ التنزيل في النزول الدفعي فيمكن استفاده ذلك من الإطلاق في كثير من الموارد. قال الله تعالى:

﴿إِنَّ وِلْيَیَّ اللّٰهُ الَّذِیْ نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾؛ (١)

﴿الْم \* نَزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ (٢)

﴿نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾. (٣)

ثالثاً: إنَّ استشهاده بقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (٤)، بأنَّ مرتبه الإحكام هي مرتبه الحقيقه، لا فصل ولا- جزء للقرآن في هذه المرتبه، وأنَّ مرتبه التفصيل مرتبه دون هذه المرتبه عارضه عليه؛ ففيه: أنه لا- دلالة في لفظ الإحكام والتفصيل على هذا المعنى، وبأى عنايه يستظهر منه أنَّ مرتبه الإحكام مرتبه من مراتب القرآن بالمعنى الذى ذكره؟ فالإحكام والتفصيل من نعوت الدلالة في الكلام والألفاظ، لا من نعوت الوجود العيني بما هو موجود عيني. وبعبارة أخرى، معنى الإحكام في الألفاظ والكلام هو كونه لا- تشابه فيه ولا تناقض ولا خلل ولا نقص، والتفصيل هو كون الكلام لا إجمال فيه ولا إبهام فيكون مبيناً ومشروحاً.

١- الأعراف (٧)، الآية ١٩٦.

٢- السجده (٣٢)، الآيات ٢ ١.

٣- الزمر (٣٩)، الآية ١.

٤- هود (١١)، الآية ١.

ص: ٥٩

قال في الجوامع:

﴿أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ﴾ نَظَّمَتْ نَظْمًا مُحْكَمًا لَا- نقض فيه ولا خلل، كالبناء المحكم... ﴿ثُمَّ فَصَّلَتْ﴾، كما تفصل القلائد بدلائل التوحيد والمواعظ والأحكام... معنى «ثم» التراخي في الحال، لا- في الوقت كما تقول: هي محكمه أحسن الأحكام ثم مفضله أحسن التفصيل... ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ﴾ أحكمها و﴿خَبِيرٍ﴾، عالم فضلها، أى بينها وشرحها. (١)

ويستفاد ذلك أيضاً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢) وكذا من توصيف القرآن نفسه، بأنه حكيم أى ذا حكمه وعلم فى قوله تعالى: ﴿يَسْ﴾ \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٣).

فالمحكم ما يقابل المتشابه لا- المفضل؛ ولا إشكال فى أن يكون القرآن فى مرحله محكماً (من دون خلل ونقص وتشابه وتناقض) وفى مرحله مفضلاً.

رابعاً: إن استشهاده بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤) بأن الآيه ظاهره فى أن تفصيل الكتاب أمر طارئ عليه؛ ففيه:

إن الله سبحانه وتعالى قد وصف القرآن فى صدر الآيه بهذه التوصيفات:

١- جوامع الجامع، ج ٢، ص ١٣٤.

٢- الأعراف (٧)، الآيه ٥٢.

٣- يس (٣٦)، الآيه ١ ٢.

٤- يونس (١٠)، الآيه ٣٧.

ص: ٦٠

١. أنه تصديق الذي بين يديه.

٢. أنه تفصيل الكتاب.

٣. أنه لا ريب فيه.

٤. أنه من رب العالمين.

وحينئذ كيف يجوز التفكيك بين هذه النعوت؟ وكيف يقال: إنَّ وصف [مُصَدِّقًا] وصف القرآن وأمّا [تَفْصِيلُ الْكِتَابِ] فأنَّه أمر عارض عليه. حيث إنَّه على هذا يجب أن يقال: إنَّ كونه مُصَدِّقًا، وكونه تفصيل الكتاب، وكونه لا ريب فيه، وكونه من ربِّ العالمين، كلّها أمور طارئة على الكتاب.

خامساً: إنَّ استشهاده بقوله تعالى: [إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ \* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١)]؛ ففيه: أنَّ [فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ] صفة للقرآن، والكتاب بمعنى المكتوب، والمكنون بمعنى المستور. وفيه تصريح بأنَّ المراد من الكتاب المكنون في المقام ليس هو القرآن كما أنَّ في غير هذا المورد قد أطلق الكتاب على غير القرآن كثيراً.

ص: ٦١

ويحتمل أن يكون خبراً ثانياً لـ «إن». والشاهد القطعي على أنه نعت للقرآن، قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فإنّ التنزيل صفه للقرآن بلاريب، ولا معنى لكون التنزيل صفه ونعتاً للكتاب المكنون.

فالقرآن الكريم غير الكتاب المكنون وليس بمرتبته من مراتب الكتاب المبين كما زعمه.

ويحتمل أن يكون المراد من الكتاب المكنون في المقام صحيفه نوريه، أي العلم المفاض على عدّه من أولياء الله الكرام من الملائكة المقرّبين والأنبياء والرسل والصدّيقين. وإنّ المراد من أنّ القرآن في مرتبه التلاوه والقراءة في هذا الكتاب المكنون كونه معلوماً بهذا العلم عند حملته، لا- أنّ القرآن المقروء والمتلو له نوع من الثبوت التجردى في اللوح، فهؤلاء الحمله الكرام يعلمون القرآن ويحصونه بحقيقه العلم والإحصاء ويشهدون أنه حق لا ريب فيه كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

إنّ قوله ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٢) هو الوصف الثالث للقرآن الكريم. والمراد من المسّ هو المسّ الظاهري بين الأجسام. ولفظه «لمس» و«مسّ» لم تستعمل في معنى الإدراك وبالأخصّ إدراك الحقائق النوريه والغيبية في اللغة فضلاً عن القاموس القرآني. (٣) فالمراد من المسّ في التعابير القرآنيه، هو المسّ للأجسام لا غير كما قال تعالى:

﴿وَإِنْ طَلَقْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ (٤)

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ (٥).

١- يس (٣٦)، الآية ١٢. لمزيد من الاطلاع على معنى الكتاب المكنون والمبين والإمام المبين تفصيلاً، راجع كتاب توحيد الإمامية، الفصل العاشر، ص ٢٨٧.

٢- الواقعة (٥٦)، الآية ٧٩.

٣- راجع: لسان العرب، ج ٦، ص ٢١٧؛ الصحاح، ج ٤، ص ٩٧٨؛ معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٢٧١.

٤- البقره (٢)، الآية ٢٣٧.

٥- مريم (١٩)، الآية ٢٠.

ص: ٦٢

وغايه ما يمكن أن يقال، أن «المس» استعمل في خصوص التلاقي بالنار وفي العذاب والبأساء والضراء؛ كما ورد في قوله تعالى:

﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾؛ (١)

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾؛ (٢)

﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾. (٣)

من هنا فإن قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ جملة منفيّة خبريّة أريد منها الإنشاء، لأنّ هذا الأسلوب أوضح في بيان المنع والتحريم. وعليه فإنّ المسّ الظاهريّ للقرآن الكريم حرامّ على من لم يكن مطهراً؛ قال الإمام موسى الكاظم:

المُصْحَفُ، لَا تَمَسُّهُ عَلَى غَيْرِ طَهْرٍ وَلَا جُنْبًا وَلَا تَمَسَّ خَطَهُ وَلَا تُعَلِّقُهُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٤). (٥)

وقال في مجمع البيان:

قيل: المطهرون من الأحداث والجنابات، وقالوا: لا يجوز للجنب والحائض والمحدث مسّ المصحف عن محمد بن عليّ الباقر...

١- القمر (٥٤)، الآية ٤٨.

٢- فصلت (٤١)، الآية ٥١.

٣- لأعراف (٧)، الآية ١٨٨.

٤- الواقعة (٥٦)، الآية ٧٩.

٥- الاستبصار، ج ١، ص ١١٤، ح ٣ [٣٧٨]؛ تفسير كنز الدقائق، ج ١٣، ص ٥٣.

ص: ۶۳

وعندنا أن الضمير يعود إلى القرآن؛ فلا يجوز لغير الطاهر مسّ كتابه القرآن. (١)

## الجمع بين النزول الدفعي والتدريجي

ويمكن أن يقال في الجمع بين النزول الدفعي والتدرجي: إن القرآن نزل بمجموعه إلى البيت المعمور ثم نزل على رسول الله ﷺ تدرجاً في طول ثلاث وعشرين سنة.

ورد في الكافي، عن علي بن إبراهيم مسنداً عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾؛ (٢) وإنما أنزل في عشرين سنة بين أوله وآخره؟ فقال أبو عبد الله ﷺ:

نَزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. ثُمَّ نَزَلَ فِي طُولِ عِشْرِينَ سَنَةً. ثُمَّ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ لَيْسَتْ مَضِيْنٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانِيَةِ عَشَرَ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. (٣)

١- مجمع البيان، ج ٩، ص ٣٤١.

٢- البقره (٢)، الآيه ١٨٥.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٦٢٨، ح ٦؛ البرهان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٩٠.

ص: ٦٤

الظاهر من نزوله إلى: «البيت المعمور»، نزوله على مَنْ كان مِنْ أُمْنَاءِ الْوَحْيِ وَخَزَانِ الْعُلُومِ وحفظته.

كما ورد في الصحيحه المباركه السجاديّه في دعائه □ لحمله العرش وملائكه الله المقرّبين أنّه قال:

وَالطَّائِفِينَ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ. (١)

فحديث حفص بن غياث وإن كان خبراً واحداً لا يمكن الأخذ به على نحو الجزم إلّا أنّ ردّه مشكل أيضاً لعدم استحاله مفاده عقلاً وأنه كاف في دفع التنازع القطعي بين نزول القرآن منجماً وتدرجاً وبين نزوله بمجموعه في شهر رمضان في ليله القدر، فيكون التعارض احتمالياً لا قطعياً.

## ١٤ المحكم والمتشابه

### المحكم والمتشابه في القرآن والحديث

١- الصحيحه السجاديّه، الدعاء الثالث، ص ٤٠.







ص: ٦٧

قال الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١﴾﴾.

إنَّ الإحكام والتشابه من نعوت الألفاظ والدلالات، لا من نعوت المعانى والمرادات. والمحكم حيث إنَّه لا خلل فى دلالة على المراد، يجب اتِّباعه والتدوين بمفاده، ويجب تحكيمة على جميع الشؤون الدينيَّة وردَّ جميع الأقاويل والأنظار المبتدعة وإرجاعها إليه. ويجب تحكيمة على جميع المتشابهات الواردة فى الكتاب والسنة على تفصيل يأتى إن شاء الله .

١- آل عمران (٣)، الآية ٧.

ص: ٦٨

ومن البديهي أن تقسيم آيات الكتاب إلى المحكم والمتشابه، إنما هو بلحاظ وجوب الأخذ والاتباع وتحريمهما، فلا محاله يتوجه التقسيم إلى الألفاظ الهاديّة إلى المرادات والمعاني، ومع قطع النظر عنه لا يعقل وجوب الاتباع وتحريمه.

والتشابه هو أن يكون للفظ وجوه متعدّده أو وجهان لم يعلم ولم يتعيّن واحد منها في مقام الإفهام والتفهم، وتعيين واحد منها يحتاج إلى الدليل. والتشابه والترديد بين الوجوه إنما هو راجع إلى المعاني التركيبية لا الإفرادية، فإنّ المفردات في مثل قوله تعالى: ﴿لَوْجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾\* (١) إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، ظاهره في معانيها الإفرادية إلّا أنّ القرينه قائمه على عدم إرادته تلك الظواهر. فمعنى النظر والرّب مثلاً لا إبهام في دلالتها على معانيهما لغه، ولولا قيام القرينه العقلية على استحالة النسب وكذلك مخالفه محكمات الكتاب والسنة على استحالتها، لما كان في دلاله الجملة على مفادها، ترديد وإشكال. فالمتشابه ما يقابل المحكم من حيث عدم حكاية الألفاظ عن معانيها ومراداتها ولا بدّ في تعيين ما أُريد من اللفظ من دليل خاص.

وما ينبغي الالتفات إليه في بحث المحكم والمتشابه هو أنّه ليس المراد من إرجاع المتشابه إلى المحكم كما أكّدت به الروايات كثيراً تفسير المتشابه وتعيين المراد ورفع التشابه الموجود فيه، بل إنّ الآيات المحكمه ترفع الظهور الإبتدائي من الآيات المتشابهه فقط ولا تبين معناها والمراد منها.

ص: ٦٩

ولا يخفى أن الهدف الأصلي من تقسيم الآيات إلى المحكم والمتشابه، هو التمهيد لتقسيم الناس في مقام العمل بالقرآن إلى الزائغين والراسخين، فالآخذين والتابعين للمتشابه، يريدون إضلال الناس وإغوائهم وأما الآخذين بالمحكم والراسخين فيه، فإنّ سنتهم السكوت عن المتشابه وإرجاع علمه إلى الله والإيمان به على ما هو عليه في الواقع.

ومن خلال دراسته الروايات الواردة في هذا البحث بنحو دقيق نصل إلى هاتين النتيجةين:

١. وجوب الإيمان والعمل بالآيات المحكمه ووجوب الإيمان بالآيات المتشابهه وحرمة العمل بها.

٢. إنّ الوصول إلى معنى الآيات المتشابهه، لا يمكن إلّا عبر مجارى الوحي وأنّ العلم بها منحصر بالراسخين بالعلم أى النبى ﷺ وأهل بيته ﷺ ويجب على الجميع الرجوع إلى بياناتهم الواردة في تفسير هذه الآيات وتوضيحها.

ورد في الكافي، مسنداً عن أبى جعفر ﷺ قال:

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيْلِهِ الْقَدَرِ: **فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (١) ﷻ** يَقُولُ: يَنْزِلُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ وَالْمُحَكَّمُ لَيْسَ بِشَيْئَيْنِ إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ... (٢)

١- الدخان (٤٤)، الآية ٤.

٢- الكافي، ج ١، ص ٢٤٨، ح ٣؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٧٩، ح ٦٦ (الباب الثالث من أبواب خلقهم وطينتهم وأرواحهم ﷻ من كتاب الإمامه).

ص: ٧٠

إنَّ مراده □ من تفسير الحكيم بالمحكم، هو أنَّ علومهم التي أُفيضت عليهم من الله تعالى مصونه بالذات عن الخطأ والزلل، ولا تقبل الاختلاف والتناقض. وكلَّ علم لا يكون فيه اختلاف ولا تناقض فهو آية الإمامه وبرهان الخلافه. ومن الممكن جداً أن يكون مراده □ من المحكم، الآية المحكمه؛ فإنَّ مفاد الآية المحكمه عند الله الذي أنزلها بعلمه وعند الرسول □ وعند أوصيائه الحفظه □ واحد.

وفي معاني الأخبار، عن أبيه مسنداً عن ابن سنان وغيره، عَمَّن ذكره قال: سألت أبا عبد الله □ عن القرآن والفرقان: أهما شيان أو شىء واحد؟ قال: فقال:

الْقُرْآنُ جُمْلَةُ الْكِتَابِ، وَالْفُرْقَانُ الْمُحْكَمُ الْوَاجِبُ الْعَمَلُ بِهِ. (١)

وفي تفسير العياشي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله □ يقول:

إِنَّ الْقُرْآنَ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، فَأَمَّا الْمُحْكَمُ فَتُؤْمِنُ بِهِ وَنَعْمَلُ بِهِ وَنَدِينُ بِهِ وَأَمَّا الْمُتَشَابِهُ فَتُؤْمِنُ بِهِ وَلَا نَعْمَلُ بِهِ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: □ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ... (٢)(٣). □

هذه الروايه الشريفه تدلّ على حرمة العمل بالمتشابه ووجوب الإيمان به

١- معاني الأخبار، ص ١٩٠؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٨، ح ٣٢ (الباب الأول من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

٢- آل عمران (٣)، الآية ٧.

٣- تفسير العياشي، ج ١، ص ١٦٢، ح ٤؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٣٨٢، ح ١٦ (الباب ١٢٧ من أبواب فضائل سور القرآن من كتاب القرآن).

ص: ٧١

كما هو. وهي صريحه في إبطال القول برفع التشابه عن المتشابه بقرينه المحكمات؛ (١) إذ المقام، مقام بيان؛ فالسكوت عن بيان رفع التشابه والتصريح بحرمه العمل بالمتشابه، كاف في عدم قرينته المحكمات للمتشابهات، بل يجب الإيمان بالمتشابه على ما هو عليه والعمل بالمحكمات، حتى يأتي دليل خارجي في تفسيره.

وفي الكافي، عن علي بن محمد مسنداً عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر قال:

إِنَّ [أ] نَاساً تَكَلَّمُوا فِي هَذَا الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ... فَالْمَنْسُوخَاتُ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ وَالْمُحْكَمَاتُ مِنَ النَّاسِخَاتِ ... (٢).

الظاهر أن كون المنسوخات من المتشابهات، إنما هو بلحاظ حرمه العمل بها.

وفي تفسير القمي، عن محمد بن أحمد بن ثابت مسنداً عن أبي بصير، عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول:

إِنَّ الْقُرْآنَ زَاجِرٌ وَآمِرٌ، يَأْمُرُ بِالْجَنَّةِ وَيُزَجِّرُ عَنِ النَّارِ، وَفِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، فَأَمَّا الْمُحْكَمُ فَيُؤْمَنُ بِهِ وَيُعْمَلُ بِهِ وَيُدَبَّرُ بِهِ، وَأَمَّا الْمُتَشَابِهُ فَيُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ

١- آل عمران (٣)، الآية ٧.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٢٨، ح ١؛ بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٨٥، ح ٣٠ (الباب ٣٠ من أبواب الإيمان والإسلام والتشيع... من كتاب الإيمان والكفر).

ص: ٧٢

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ... (١) □ وآلُ مُحَمَّدٍ □ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ. (٢)

قال الإمام الصادق □ لما سُئِلَ عن تفسير المحكم:

...أَمَّا الْمُحْكَمُ الَّذِي لَمْ يَنْسَخْهُ شَيْءٌ فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: □ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ □ (٣) الآية. وَإِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ فِي الْمُتَشَابِهِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقِفُوا عَلَى مَعْنَاهُ، وَلَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَتَهُ، فَوَضَعُوا لَهُ تَأْوِيلًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ بِآرَائِهِمْ، وَاسْتَغْنَوْا بِذَلِكَ عَنْ مَسْأَلَةِ الْأَوْصِيَاءِ، وَبَدُّوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ □ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ. (٤)

فيه تصريح بأن مرجعيه المحكم للمتشابه في إبطال ظاهره. ولابد من الرجوع إلى الأوصياء وسؤالهم في تفسير المتشابه وتوضيحه.

وفي الاحتجاج، مسنداً عن علقمه بن محمد الحضرمي، عن أبي جعفر محمد بن علي □ عن النبي □ في حديث قال:

مَعَاشِرَ النَّاسِ تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ وَافْهَمُوا آيَاتِهِ، وَانْظُرُوا إِلَى مُحْكَمَاتِهِ وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهُ، فَوَاللَّهِ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَوَاجِرَهُ وَلَا يُوضِّحَ لَكُمْ

١- آل عمران (٣)، الآية ٧.

٢- تفسير القمي، ج ٢، ص ٤٥١؛ بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٩١، ح ١٢ (الباب العاشر من أبواب الآيات النازلة فيهم... من كتاب الإمامه) وفيه: «يدبر به» بدل «يدبر به».

٣- آل عمران (٣)، الآية ٧.

٤- وسائل الشيعه، ج ٢٧، ص ٢٠٠، ح ٦٢ [٣٣٥٩٣] (الباب ١٣ من أبواب صفات القاضي...).

ص: ٧٣

تَفْسِيرُهُ إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ وَمُصْعِدُهُ إِلَيَّ وَشَائِلٌ بَعْضُهُ (١).

فيه إشعار قوى، أن المرجع في تفسير المتشابه هو على عليه الصلاة والسلام.

وفى العيون، عن أبيه مسنداً عن أبي حيون مولى الرضا، قال:

مِنْ رَدِّ مُتَشَابِهَةِ الْقُرْآنِ إِلَى مُحْكَمِهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ فِي أَخْبَارِنَا مُتَشَابِهًا كَمُتَشَابِهَةِ الْقُرْآنِ، وَمُحْكَمًا كَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ؛ فَرُدُّوا مُتَشَابِهَهَا إِلَى مُحْكَمِهَا وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحْكَمِهَا، فَتَضَلُّوا. (٢)

صرح أنه لا يجوز اتباع المتشابه وترك المحكم، كما هو دأب أهل الزيغ؛ وواضح أن الله تعالى لم يكلف العباد الفحص عن تأويل المتشابه إلا من طريق أهل بيت الوحي، وخزان العلم خاصه.

وفى الصحيفة المباركة السجادية فى دعائه عند ختم القرآن، قال:

فَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَرَعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَيَدِينُ لَكَ بِاعْتِقَادِ التَّسْلِيمِ لِمُحْكَمِ آيَاتِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى الْإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِهِ، وَمَوْضَحَاتِ بَيِّنَاتِهِ. (٣)

صرح أن الوظيفة الأولى والمفزع والملجأ فى المتشابهات والبيّنات الموضّحه بالفتح هو الإيمان والإقرار.

### دراسة بعض الآراء فى المحكم والمتشابه

١- الاحتجاج، ج ١، ص ٦٠؛ بحار الأنوار، ج ٣٧، ص ٢٠٩، ح ٨٦ (الباب ٥٢ من أبواب النصوص الدالة على الخصوص... من كتاب تاريخ أمير المؤمنين).

٢- عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٩٠، ح ٣٩ (الباب ٢٨)؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٨٥، ح ٩ (الباب ٢٦ من أبواب العلم من كتاب العقل والعلم والجهل).

٣- الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٢، ص ١٧٦.



ص: ٧٤

إنّ الأقوال في هذا الباب كثيره ذكرها السيوطي في إتقانه (١) والشيخ محمد عبده في المنار (٢) ، فنذكر بعضها والنقد الوارد عليها:

الأول: ما روى عن عكرمه وقتاده وغيرهما، أنّ المحكم الذي يعمل به والمتشابه الذي يؤمن به ولا يعمل به.

فيه: أنّ هذا ليس بياناً للمحكم والمتشابه وتعريفاً لهما، بل هذا بيان لما يترتب عليهما من الحكم القطعي العقلي وإرشاد به، من وجوب الاتّباع والعمل للمحكم وتحريم الأخذ بالمتشابه؛ وهو عين مفاد الآية الكريمة والوظيفه المقرّره الأوّليه بالنسبه إلى المتشابه؛ وهذا البيان، بيان إرشادي كما لا يخفى.

الثاني: المحكم ما عرف المراد منه، إمّا بالظهور وإمّا بالتأويل. والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعه وخروج الدجال والحروف المقطّعه في أوائل السور.

فيه: أنّه إن أُريد بالظهور في تعريف المحكم النصّ، فهو كذلك أو ما يقابل النصّ من الظهور الاصطلاحي، فهو وإن لم يكن محكماً إلّا أنّه في حكم المحكم من حيث وجوب الاتّباع. وعلى التقديرين فلا محصل لقوله: «أو بالتأويل» إلّا أن يقال: إنّ مراده من التأويل هو التفسير، لكنّ من

١- . الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٧٥.

٢- تفسير المنار، ج ٣، ص ١٦٣ ١٦٥.

ص: ٧٥

الواضح أنّ اعتماد المفسّر في التفسير المشروع على دلالة الألفاظ، وتحصيل القرائن وكسب الشواهد على تلك الدلالة بحيث يصير اللفظ بلحاظ هذا الاستظهار ظاهراً أو قطعياً في المعنى المستظهر، فلا موقع بعد هذا لقوله: «أو بالتأويل» الظاهر في التريد والتغاير بين شيئين.

وأما تفسير «المتشابه بما استأثر الله بعلمه».

ففيه: أنّ المتشابه وإن كان من الغيب المحجوب مثل سائر الغيوب إلّا أنّه قد جرت سنته تعالى في عدّه من هذه الغيوب، سيّما المتشابه أن يطّلع عليها الراسخون في العلم من أوليائه الطاهرين. وهل يتفوّه عالم أنّ رسول الله ﷺ لم يعلم ما نزل عليه من متشابهات الكتاب؟! ولم يقدر على تعليمها لأحد من أفاضل أمته وأهل دعوته؟! وهذا جزاف من القول. والعجب تمثيله المتشابه، بقيام الساعة وخروج الدجال؛ إذ وقت قيام الساعة من جملة الغيوب التي لا نهاية لعددها فالقائل لابدّ أن يلتزم أنّ كلّ غيب، متشابه. فلو عقل وتفكّر لعلم أنّ المتشابه من الغيوب، لا أنّ كلّ غيب متشابه. وجمعه بين قيام الساعة وخروج الدجال وبين فواتح السور، يدلّ على أنّ القائل يعتقد بأنّ الغيوب كلّها من المتشابه.

الثالث: إنّ المحكم من آي الكتاب، ما لم يحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل من التأويل أوجهاً.

وفيه: أنّ الصحيح في المقام أن يقال: إنّ المحكم ما يدلّ على معنى والمتشابه ما لم يكن ظهوره جائز الاتّباع. وقوله: «ما لم يحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً»، ليس بصحيح لأنّ مفاد المحكم لا يُعدّ تأويلاً في لسان

ص: ٧٦

الكتاب والسنة. فلو كان مراده أن المحكم، ما كان واضحاً في معنى واحد والمتشابه ما يقابله، فهو عين ما ذكرناه.

الرابع: المحكم ما كان معقول المعنى، والمتشابه بخلافه، كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان.

وفيه: أن الظاهر من قولهم: «معقول المعنى»، غير التعدييات ويكون المراد من المتشابه هي التعدييات. وحيث إن التسليم في مقابل التعدييات واجب بالضرورة، وكل ما يجب التسليم في قبالة تعديداً فهو متشابه. ويحرم اتباع المتشابه قبل نيل معناه ومفاده، فعليه يحرم اتباع التعدييات، لأنها من المتشابهات التي معناها ليس معقولاً. وبالجمله هذا القول أجنبى عن البحث في المحكم والمتشابه الذى يكون فى باب دلالات الألفاظ.

الخامس: المحكم ما تأويله تنزيله، والمتشابه ما لا يدرك إلّا بالتأويل.

أقول: المراد بالتأويل هاهنا التفسير والشرح والتوضيح. فعلى هذا يكون المحكم ما لا ترديد فى دلالة على مفاده، والمتشابه ما لا يمكن الأخذ بظاهره لقيام القرائن العقلية والنقلية على خلافه؛ وسيأتى لذلك مزيد توضيح فى البحث عن التأويل إن شاء الله تعالى .

السادس: المحكم ما استقل بنفسه والمتشابه ما لا يستقل إلّا برده إلى غيره.

وفيه: أن الاستقلال وعدمه لا معنى له فى باب دلالة الألفاظ؛ فمن الكلام ما يحتاج إلى شرح وقرينه ومنه ما لا يحتاج إلى ذلك. وهذا عمل عادى فى المحاورات العرفية ويترتب عليه أغراض العقلاء، بحسب اختلاف المقامات.

ص: ٧٧

السابع: المحكمات ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك، فهو متشابه يصدق بعضه بعضاً.

وفيه: أولاً: أنه لا دليل على نفى التشابه، مما فيه الحلال والحرام.

وثانياً: القول بأن «ما سوى ذلك فهو متشابه»، خلاف الضرورة والعيان. كيف وفي غير الأحكام، أصول الدعوه وأساس الأديان والحقائق الفطرية والمستقلات العقلية، وأمثال ذلك؟!

وثالثاً: لا معنى للقول بأن المتشابه يصدق بعضه بعضاً.

الثامن: المحكمات مالم تنسخ والمتشابهات ما قد نسخ.

وفيه: أن من الممكن أن يكون المتشابه من النواسخ، فيحرم العمل به قبل تفسيره ويجب العمل به بعد تفسيره.

التاسع: المحكم مالم تتكرر ألفاظه ومقابله المتشابه.

وفيه: أن التكرار وعدمه أجنبي عن معنى التشابه والإحكام.

على أنه لا معنى لنسبه التكرار إلى القرآن الكريم. وما كان من القضايا والقصص في المواقف المختلفة إنما هو لأغراض شتى. وعلى عهده المفسر تعيين الغرض المسوق له الكلام والعناية الملحوظة فيه.

العاشر: أن المتشابه هي آيات الصفات أي: صفات الله خاصه.

وفيه: أن لازم ذلك حرمة الاعتقاد والتدين بالتوحيد ونعوت الله الكماله والجلالته.

على أن الآية الكريمه، صريحه في أن الإحكام والتشابه من صفات الكلام، لا من صفات مفرداته.

وهناك أقوال أخر أعرضنا عن ذكرها توخياً للإطاله.

**نظريته صاحب الميزان ونقدها**

ص: ٧٨

قال في الميزان:

وأما التشابه المذكور في هذه الآية أعنى قوله: «وَأُخِرَ مُتَشَابِهَاتٌ» فمقابلته لقوله: «مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ (١)»، وذكر اتباع الذين في قلوبهم زيغ لها ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل، كلّ ذلك يدلّ على أنّ المراد بالتشابه، كون الآية بحيث لا يتعيّن مرادها لفهم السامع بمجرّد استماعها، بل يتردّد بين معنى ومعنى، حتّى يرجع إلى محكمات الكتاب؛ فتعيّن هي معناها وتبينها بياناً، فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمه بواسطة الآية المحكمه، والآيه المحكمه محكمه بنفسها، كما أنّ قوله: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٢)»، يشبه المراد منه على السامع أوّل ما يسمعه، فإذا رجع إلى مثل قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (٣)» استقرّ الذهن على أنّ المراد به التسلّط على الملك والإحاطة على الخلق دون التمكن والاعتماد على المكان المستلزم للتجسّم المستحيل على الله سبحانه... وكذا إذا عرضت الآية المنسوخة على الآية الناسخة، تبين أنّ المراد بها حكم محدود بحدّ الحكم الناسخ وهكذا. (٢)

١- ل عمران (٣)، الآية ٧.

٢- الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢١.

ص: ٧٩

وقال في معنى كون المحكمات (أم الكتاب):

فإن في هذه اللفظه أعنى لفظه الأم عنايه بالرجوع الذي فيه انتشاء واشتقاق وتبعص، فلا تخلو اللفظه من الدلاله على كون المتشابهات ذات مداليل ترجع وتتفرع على المحكمات، ولازمه كون المحكمات مبينه للمتشابهات.

على أن المتشابه إنما كان متشابهاً لتشابه مراده، لا لكونه ذا تأويل؛ فإن التأويل كما مرّ يوجد للمحكم كما يوجد للمتشابه، والقرآن يفسّر بعضه بعضاً. فللمتشابه مفسّر وليس إلّا المحكم؛ مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (١)، فإنه آيه متشابهه ويارجاعها إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، يتبين أن المراد بها نظره ورؤيه من غير سنخ رؤيه البصر الحسي، وقد قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ \* أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ إلى أن قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ (٣). فأثبت للقلب رؤيه تخصّه، وليس هو الفكر، فإن الفكر إنما يتعلّق بالتصديق والمركّب الذهني، والرؤيه إنما تتعلّق بالمفرد العيني، فيتبين بذلك أنه توجه من القلب ليست بالحسيه الماديّه ولا

١- القيامة (٧٥)، الآية ٢٣.

٢- الشورى (٤٢)، الآية ١١.

٣- النجم (٥٣)، الآية ١٨.

ص: ٨٠

بالعقلية الذهنية. والأمر على هذه الوتيرة في سائر التشابهات. (١)

يرد على هذه النظرية إشكالات:

أولاً: إنّ الأمومه والإصالة للمحكمات أجنبيّة عن معنى الفرعية والمفسريّة بالكليّة، لأنّ الإحكام والتشابه وصفان مختلفان لدلاله الألفاظ وليس النسبه بينهما نسبه الفرع والأصل، كى يتوقف فهم التشابه على المحكم؛ فلا يمكن الوصول إلى التشابه عن طريق المحكم.

ثانياً: لا- تناسب بين رؤيه الآيات وبين النظر إلى ذاته المقدسه؛ فتفسير النظر بالرؤيه فى الآيتين مجازفه واضحه لأنّ النظر غير الرؤيه، مضافاً إلى أنّ النظر فى الآيه المبحوث عنها متعلّق بالربّ وفى الآيه التى استشهد بها متعلّق برؤيه الآيات.

ثالثاً: إنّ لا- إشكال فى أنّ التشابه ما يقابل المحكم؛ ولا إشكال فى حجّيه المحكم عند العلماء؛ وكذلك فى حجّيه الظواهر عند المحقّقين، وأمّا التشابه هو الذى لم ينعقد له ظهور فلا موضوع للحجّيه فيه أصلاً، وردّ التشابه إلى المحكم ليس إلّا لإبطال الظهور البدوى، لا- لتعيين المراد من التشابه، وليست المحكمات قرينه عرفيه منفصله لتعيين المراد من التشابهات، مثلاً- قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾ فى مقام تنزيهه تعالى عن رؤيه الأبصار وتمجيده تعالى عن إدراكه وإحاطته سبحانه بالأبصار، ولا توجد قرينه عرفيه بين المخاطبين والمتكلّم على أنّ المراد منها النظر إليه تعالى. وغايه ما فى

١- الميزان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص ٤٣ ٤٤.

الباب نفى النظر الحسيّ وإثبات إحاطته تعالى وإدراكه النظر الحسيّ، فلا يكون مدركاً بالنظر الحسيّ ولا محاطاً به، وأما تعيين المراد من النظر إلى ذاته المقدّسه الكريمه، فإلتماسه من الآيه مجازفه واضح.

فتلخص أنّ الغرض الأصيل من المحكمات ليس قرينتها للمتشابهات وتفسيرها، بل لها شأن آخر أصيل؛ وهو أنّها أمّ الكتاب وعماده وأصوله. ومن تدبّر بها وعمل بها لم يسأل الله عنه ولم يؤاخذ به بترك التشابهات. ومن جملة العمل بها عرض التشابهات عليها وتحكيمها عليها والسكوت عنها. والمتشابه لا يصير ظاهراً برّده إلى المحكم، فضلاً عن أن يكون محكماً ولا بدّ في توضيح التشابهات من الرجوع إلى أدلّه أخرى، سقت لبيان هذا المتشابه بخصوصه بنحو مستقيم أو غير مستقيم. وهكذا الأمر في تشابهات الأخبار، فلا بدّ من عرض تشابهاتها على محكمات الكتاب والسنة؛ ثم شرحها بأدلّه أخرى من الكتاب والسنة.

فأضح من جميع ما ذكرنا أنّ معنى الروايات التي وردت في ردّ المتشابه إلى المحكم، هو الأخذ بالمحكم والسكوت عن المتشابه والإيمان به على ما هو عليه في الواقع. فللمحكم مقام المرجعيّ والحاكميّ، يحتجّ به على علوم القرآن ويحتجّ به على أهل الآراء الباطلة والأهواء المبتدعه.



ص: ٨٢

## المنهج الصحيح في التفسير

معنى التفسير





ص: ٨٥

التفسير لغه: كشف الغطاء، قال في لسان العرب:

الْفَسْرُ: كَشَفُ الْمَغْطَى. والتفسير: كَشَفُ الْمَرَادِ عَنِ اللَّفْظِ الْمُشْكِلِ (١).

ليس من الضروري أن يُفسّر الكلام أو الكتاب إلّا إذا كان مانعاً وحجاً في دلالة على مراد المتكلم أو الكاتب؛ فإن كان الكلام صريحاً أو ظاهراً في معناه، فإنّ تبينه لا يعدّ تفسيراً؛ لأنّ الكلام الصريح أو الظاهر، لا يوجد حجاب عليه كي يُرفع بالتفسير. ولو لم يكن الظهور البدويّ للكلام حجّة لجهات، فإنّه يجب على المخاطب للوصول إلى مراد المتكلم أو الكاتب أن يفحص عن مختلف مواضع القرائن الحاثية والمقاليه المخالفه للظهور البدويّ في كلّ موضع يحتمل وجودها؛ والمعنى الذي ظهر له أو قطع به بعد الفحص الدقيق والتأمل والتعقل، يكون تفسيراً له.

فكما قلنا في بحث حجّيه ظواهر القرآن، إنّ القرآن له خطابان: خطاب عامّ وخطاب خاصّ.

١- لسان العرب، ج ٥، ص ٥٥.

ص: ٨٦

أمّا في الخطاب العام الذي لا يكون إلّا في دلالات نصوص القرآن وظواهره فإنّ الله سبحانه وتعالى أثار عقل الإنسان وفطرته عن طريق بيان الموضوعات العقلية والأحكام والمسائل الفطرية ودعاه إلى التدبّر في الخليقة وآياته الموجودة في الطبيعة. وبما أنّ الأمور العقلية والفطرية لا تُنسخ ولا تُخصّص ولا تُقيّد، فإنّ الظهور الابتدائي لهذه الآيات، يكون حجّة ويمكن الاستفادة من معناها وما أُريد منها بمحض الرجوع إليها؛ فلا تحتاج هذه الآيات إلى التفسير والتبيين.

وأمّا في الخطاب الخاصّ، فبما أنّ الله سبحانه وتعالى يذكر فيه المعارف الدقيقة وجزئيات الأحكام، فإنّه لا يمكن التمسك بالظهور الابتدائي لهذه الآيات، لأنّه يمكن أن تكون الآية في صدد بيان موضوع عامّ أو مطلق وورد تخصيصه أو تقييده في آيات أخرى أو في السنّة الشريفة بل يمكن أن تكون الآية منسوخة.

فإذن التفسير عبارته عن تبين مراد الله سبحانه وتعالى والكشف عنه، عبر الطرق العلميّة والاستفادة من الأدلّة العقلية والقرائن المتصلة والمنفصلة المذكورة في الآيات والروايات.

فمن اتّبع هذه الطريقة في تعيين مراد الله سبحانه وتعالى في القرآن، كان مفسراً وإنّ هذه الطريقة المسماة بالطريقة الاجتهادية المبتنية على العقل والكتاب والسنّة هي الطريقة الصحيحة والمقبولة عند الأصوليين من فقهاء الشيعة المسجّلة في تاريخهم.

ص: ٨٧

إلّا أنّه مضافاً إلى هذه الطريقة، فإنّ القرآن قد فُسر بطرق مختلفة أخرى، بعضها ناقصه والبعض الآخر منها وقعت في الانحراف والاشتباه؛ وإنّ إحدى هذه الطرق طريقه تفسير القرآن بالقرآن.

إنّ بعض من اتّبع هذه الطريقة من أهل السّنة سلك طريقاً مبنيّاً على الاستغناء من بيان الرسول ﷺ والأئمّة ﷺ، وأنّ شذوذ هذه الطريقة أمرٌ بديهيّ لا- نحتاج إلى بيانها. والمدافعون عن طريقه تفسير القرآن بالقرآن مع انتمائاتهم المختلفة واتحاد شعارهم لم يسلكوا طريقاً ومنهجاً واحداً؛ وأنّ ابن تيمية يُعدّ من أتباع هذه الطريقة التفسيرية، حسب رأى بعض المؤلّفين.

### نقد منهجية تفسير القرآن بالقرآن

قال في تفسير الميزان:

فالحقّ أنّ الطريق إلى فهم القرآن الكريم غير مسدود، وأنّ البيان الإلهي والذكر الحكيم بنفسه هو الطريق الهادي إلى نفسه؛ أي: إنّّه لا يحتاج في تبين مقاصده إلى طريق، فكيف يتصوّر أن يكون الكتاب الذي عرّفه الله تعالى بأنّه هدى وأنّه نور، وأنّه تبيان لكلّ شيء مفتقراً إلى هاد غيره ومستتيراً بنور غيره ومبيناً بأمر غيره؟ (١)

يرد على هذه النظريّة أمور:

أولاً: أنّ للقرآن الكريم كما ذكرنا مقامين: مقام مخاطبه عامّه الناس، فإنّ الطريق إلى فهمه غير مسدود. والمقام المختصّ برسول ﷺ وأئمّة أهل بيته ﷺ،

ولابدّ من الالتزام فيه بما ورد عنهم □ وعدم جواز العدول عنه. قال تعالى:

□لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ \* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ \* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ □ (١). □

لقد وعد سبحانه في هذه الآيات أن يبين القرآن ويعلمه لرسوله □، كي يقوم الرسول □ بتعليم القرآن لأُمَّته، فهو سبحانه صادق الوعد وقد وفى بوعده وبين القرآن لرسوله ولذا لابدّ أن يكون تبين القرآن وتعليمه للأُمَّة بتعليم الرسول □ وآله المعصومين □. قال تعالى:

□وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ □؛ (٢)

□رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ □؛ (٣)

□كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ □؛ (٤)

□لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ □؛ (٥)

١- القيامة (٧٥)، الآية ١٦ ١٩.

٢- النحل (١٦)، الآية ٤٤.

٣- البقرة (٢)، الآية ١٢٩.

٤- البقرة (٢)، الآية ١٥١.

٥- آل عمران (٣)، الآية ١٦٤.

ص: ٨٩

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١). ﴿

إنَّ قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾؛ أصدق شاهد على أنَّ المراد بالتعليم، هو بيان الحكمه والحقائق الراجعه إلى دين الله، لا بيان قراءه ألفاظه وحروفه. وقد قام رسول الله ﷺ في حياته بهذه الوظيفة الخطيره التي أمره تعالى بها وأصرَّ أيضاً على ذلك في إرجاع الأمر إلى الأئمة المعصومين ﷺ من آله بعد وفاته كما ورد في حديث الثقلين وغيره من الأحاديث القطعيه. وحينئذ ما يكون معنى الاكتفاء والاستغناء بتفسير القرآن بالقرآن؛ إنَّ القول بعدم التنافي بين طريقه تفسير القرآن بالقرآن والاستفاده من بيانات الرسول ﷺ والأئمة (٢) ﷺ في بعض الموارد، خُلف واضح.

ثانياً: أنَّ ما ذكره في الميزان، من أنَّ القرآن نورٌ وفيه تبيان كلِّ شيء، وأنَّ النور لا يستبين بغيره وأنَّ الهدى لا يستهدى من غيره، يرد عليه أنَّ السنّه عدلٌ للقرآن وأحد الثقلين نور كالقرآن، فيكون اجتماعهما معاً نور على نور.

١- الجمعة (٦٢)، الآية ٢.

٢- قال في الميزان، ج ٣، ص ٨٤: نعم تفاصيل الأحكام ممّا لا سبيل إلى تلقّيه من غير بيان النبي ﷺ كما أرجعها القرآن إليه في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [حشر (٥٩)، الآية ٧] وما في معناه من الآيات وكذا تفاصيل القصص والمعاد مثلاً.



ص: ٩٠

ثالثاً: ما ذكرنا من أن النبي ﷺ هو المبين والمعلم للقرآن فحسب، لا ينافي عدّه من الآيات المباركة الدالّة على أن القرآن بيان وتبيان وشفاء وهُدًى وهداية للعالمين وغيرها. حيث إن هذه الآيات مسوقة لبيان فخامه شأن القرآن وجامعيته وموقعيته في المجتمعات البشرية، وكونه قولاً ثقیلاً (١) لا يوازيه ولا يضاهيه ولا يساويه ولا يدانيه شيء؛ بل هو أكبر الثقلين (٢)، وأنه برهان على ذاته بذاته وعلى جميع محتوياته ولكونه مهيمناً (٣)، وهو صريح بحاكميته على تصديق جميع ما ينسب إلى الوحي السماوي من أول الدنيا إلى يوم القيامة. وقد أشرنا إلى هذا الأمر في ما ذكرنا في فضل القرآن وشؤونه.

رابعاً: لا يصح الاستشهاد والاستدلال في تفسير القرآن بالقرآن، بما ورد عن أمير المؤمنين ﷺ في نهج البلاغة حيث قال:

تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ، فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ. وَتَمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةِ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ، فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ. ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَفْضَاهُمْ، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وَإِلَهُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ، وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ. أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْإِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ؟ أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ

١- المزمّل (٧٣)، الآية ٥: إِنْ أَسْأَلْتَنِي عَنْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا.

٢- إشاره إلى قوله ﷺ: (إِنِّي مُخْلِفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ الثَّقَلُ الْأَوَّلُ - كَبُرُ الْقُرْآنِ؛ الْغَيْبَةُ (للنعماني) ص ٤٣؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٨٠، ص ١٠٢ (الباب الثامن من أبواب فضله وأحكامه... من كتاب القرآن).

٣- المهيمن: الرقيب، الحافظ ولمزيد من الاطلاع راجع إلى الدرس الأول من هذا الكتاب.

ص: ٩١

فَعَصَوْهُ؟! أم أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقِصًا، فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ؟! أم كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ، فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا، وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى؟! أم أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا، فَقَصَّرَ الرَّسُولُ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ؟! وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (١)﴾ وَفِيهِ تَبَيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَأَنَّهُ لَمَّا اخْتَلَفَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا. ...﴾

(٣)(٢)

لأَنَّ الخطبه الشريفه سيقّت لتويخ الجاهلين الذين تصدّوا لمقام القضاء والفتوى واختلفوا في فتياهم وقضائهم، لجهلهم بالكتاب ومدارك الأحكام. وهو يحتجّ عليهم بأنّ كتاب الله سبحانه ليس فيه ما يوجب اختلافهم، وأنّ البيان الإلهي منار الحجة وواضح المحجّه. وأنّ كتاب الله أجلّ شأنًا وأرفع مقامًا من أن يُتوهّم التناقض والتخالف فيه. وفيه كمال الملائمه وتمام المناسبه في مقاصده ومراميه. وتشهد بعض الآيات على صدق ما تضمّنته الأخرى، فأين التناقض والتكاذب فيه؟!

وكذلك قوله في الخطبه:

كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ

١- الأنعام (٦)، الآية ٣٨.

٢- النساء (٤)، الآية ٨٢

٣- نهج البلاغه، الخطبه ١٨، ص ٦٠.

ص: ٩٢

بَعْضٌ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ... (١)

لأنَّ الشَّهادَة والتَّصديق بين آيات القرآن، لا يتحقَّقان إلَّا إذا كان للآية المصدِّقه بالكسر والمصدِّقه بالفتح ظهور في مفادهما. فلو لم يثبت لهما ظهور ولم يبيِّن المراد منهما فإنَّه لا يكون موضوع لتصديق وشهادة إحداهما على الأُخرى.

فتبيِّن أنَّ مورد التصديق والشَّهادة، إنَّما هو بعد تثبيت الظهورات وتبيين المرادات. وهاتان الخطبتان تدلَّان على أنَّ للمفسِّر بعد الأخذ بمفاد آيه، أن يأتي عليها بشواهد من آيات أُخرى، لأنَّه إذا ظفر على هذه الشواهد وتيسَّر له كسب تلك القرائن، كان تفسيره أسدَّ بُنياناً وأوثق برهاناً. ف «إنَّ على كُلِّ حقِّ حقيقه وعلى كُلِّ صواب نوراً» (٢)، فلو لم يجد في تفسير آيه، على آيه أو آيات تؤيِّدها وتصدِّقها، فإنَّ الآيه بوحدها تكون حجَّه على مفادها. وأين هذا من تفسير القرآن بالقرآن؟! وتسميَّه هذا تفسيراً ليس في محلِّه، إذ التفسير كما تقدَّم عبارته عن كشف القناع والاستظهار من اللفظ؛ وهو مقدَّم رتبَةً على شهادة آيه على آيه وتصديقها بها، فإنَّ التصديق والشَّهادة

كما قلنا يتحقَّقان بعد الاستظهار وتحقُّق الظهور.

وكذلك الأمر فيما ورد في الروايات، من إرجاع المتشابه إلى المحكم، فإنَّه ليس المراد منه تفسير المتشابه بالمحكم، إذ لا وجه للقول بأنَّ ما أُريد من المتشابه هو عين ما أُريد من المحكم، ولا يكون هذا القول إلَّا رجماً بالغيب، بل المراد

١- . نهج البلاغه، الخطبه ١٣٣، ص ١٩٢.

٢- المحاسن، ج ١، ص ٢٢٦، ح ١٥٠؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٤٣، ح ٤٤ (الباب ٢٩ من أبواب العلم من كتاب العقل والعلم).

ص: ٩٣

منه، هو أن المحكم يدفع الظهور البدوي العامي عن المتشابه ويبطله؛ فعلى هذا يلزم العمل والإيمان بالمحكم والسكوت عن المتشابه إلى أن يأتي له بيان آخر.

ولذا لا يمكن الاستدلال بكلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على تفسير القرآن بالقرآن. وأما إن كان المراد من الحديث الشريف إمكان استفادة ظهور آية من آية أخرى، بمعنى أنه لو كانت آية مطلقه أو عامه وآية أخرى مقيدة أو خاصه، تكون الآية الخاصه والمقيدة، بياناً وتفسيراً للآية المطلقة والعامه، فإن هذا الكلام صحيح، ولكنه لا يكون مؤيداً لتفسير القرآن بالقرآن، لأن فحص المفسر عن القرائن والمقيدات في القرآن سواء كان في الأحكام أو غيرها من المعارف والحقائق، شرط لازم ولكنه ليس بكاف، لأن الفحص كما يجب عن القرائن والمقيدات في القرآن، كذلك يجب في السنه المعبره وفي القرائن العقلية التي يجب الالتزام بها أيضاً. والأخذ بأحدهما وترك الآخر إبطال لحقه وإسقاط عن مقامه وموقعه وحجتيه.

ولا يخفى أن القرآن والسنه، هما المرجع في العلوم الشرعيه والمعارف والعقائد الاسلاميه؛ وعليه، فمن ادعى أمراً أو أحدث حدثاً في الدين لابد من استيضاح حجته من مسلمات الكتاب والسنه، فلو خالفها فالذي جاء به فهو أولى به، يضرب به وجه صاحبه. مثلاً ينادى القرآن الكريم بنداؤه العام على تنزيه الله تعالى عن آثام العباد وجنایاتهم (١) وينادى أيضاً أن له

١- كقوله تعالى في سورة العنكبوت (٢٩)، الآية ٤٠: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

ص: ٩٤

تعالى سخطاً على المعاصي (١) ورضى للطاعات والمحسنات (٢)، فلا يجوز أن يُنسب إليه تعالى جنایات الكافرين والطاغين؛ فمن ادعى ذلك وقال بالجبر فى أفعال العباد والتوحيد الأفعالى (٣) فلا يقبل منه.

وهكذا؛ من جاء بحديث أو تمسك بآيه من كتاب الله واستظهر منها برأيه ما يخالف صريح القرآن وضروره السنّه، فهو كاذبٌ مضلٌّ لا يقبل منه.

## ٦ التفسير بالرأى

### المنع عن التفسير بالرأى

- ١- . كقوله تعالى فى سورة الأعراف (٧)، الآية ١٥٢: **إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ** .
- ٢- كقوله تعالى فى سورة الفتح (٤٨)، الآية ١٨: **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** وقوله تعالى فى سورة آل عمران (٣)، الآية ٣١: **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** .
- ٣- كما ورد فى الحكمه المتعاليه، ج ٨، ص ٣١٢: ... والفعل الاختيارى لا يتحقق ولا يصح بالحقيقه إلّا فى واجب الوجود وحده وغيره من المختارين لا يكونون إلّا مضطرين فى صوره المختارين. ولمزيد من الاطلاع راجع كتاب سدّ المفز على القائل بالقدر، ص ١٠٣. ٢٢٥.





ص: ٩٧

لقد ورد المنع عن التفسير بالرأى فى أحاديث كثيرة. نذكر بعضها: قال رسول الله ﷺ:

مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، فَلْيَتَّبِعْهُ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ. (١)

فى العيون، عن محمد بن موسى مسنداً عن الريان بن الصلت، عن على بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: مَا آمَنَ بِي مَنْ فَسَّرَ بِرَأْيِهِ كَلَامِي، وَمَا عَزَفَنِي مَنْ شَبَّهَنِي بِخَلْقِي، وَمَا عَلَيَّ دِينِي مَنْ اسْتَعْمَلَ الْقِيَاسَ فِي دِينِي. (٢)

وفى كمال الدين، عن محمد بن على ما جيلويه مسنداً عن عبد الرحمن بن سمره قال: قال رسول الله ﷺ:

... وَمَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، فَقَدْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، وَمَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَلَعَنَتْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... (٣)

وفى تفسير العياشى، عن عمار بن موسى، عن أبى عبد الله ﷺ قال:

... وَمَنْ فَسَّرَ [بِرَأْيِهِ] آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَقَدْ كَفَرَ. (٤)

وفى تفسير العياشى، عن هشام بن سالم، عن أبى عبد الله ﷺ قال:

١- تفسير الصافى، ج ١، ص ٣٥.

٢- عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١، ص ١١٦، ح ٤ (الباب ١١)؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٩٧، ح ١٦ (الباب ٣٤ من أبواب العلم من كتاب العقل والعلم والجهل).

٣- كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٢٥٧، ح ١؛ بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٢٢٧، ح ٣ (الباب ٤١ من أبواب النصوص على أمير المؤمنين ﷺ من كتاب تاريخ أمير المؤمنين ﷺ) وفيه: «لعنه» بدل «فلعنته».

٤- تفسير العياشى، ج ١، ص ١٨، ح ٦؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١١١، ح ١٥ (الباب العاشر من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).



ص: ٩٨

مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ، لَمْ يُؤْجَرْ وَإِنْ أَخْطَأَ، كَانَ إِثْمُهُ عَلَيْهِ. (١)

### معنى التفسير بالرأى

إنّ التفسير المنهى عنه فى هذه الروايات، هو تفسير القرآن فى مقام استنباط العلوم والأحكام والمعارف الخاصّة، لا ما يتعلّق بمرتبته الدّعوه العامّة؛ فإنّ القرآن فى هذه المرتبة خطاب واحتجاج، وتوبيخ وتشويق، وإنذار وتبشير، وهداية وتذكّره، يدلّ عليها الكلام إمّا بالتنصيص أو بالظهور، فلا معنى لإطلاق التفسير عليه، ولا دليل على تحريمه. والأدلة متكاثرة بالحثّ

---

١- تفسير العياشى، ج ١، ص ١٧، ح ٢؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١١٠، ح ١١.

ص: ٩٩

والتمسك عليه بهذه المرحلة. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾؛ (١)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾؛ (٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. (٣)

فالأخبار المصرّحه بتحريم التفسير بالرأى على كثرتها وشيوعها إنّما هي ناظرة إلى تفسير القرآن في مرتبه علومه الخاصه فقط لا غير. وأنّ إعمال الرأى والاستنباط في هذه المرتبه لا- مجوّز له بوجه أصلاً. ولا- يجوز الاقتحام في تلك المرتبه والاستقلال في الإفتاء والقضاء والنظر القطعي في العلوم الراجعه إلى تلك المرتبه. وإرجاع الآيات بعضها إلى بعض رجم بالغيب وقول بلا علم، فزبّ عام في الكتاب خاص في السنّه أو في آيات أخرى متأخّرة. ورُبّ فريضه في الكتاب، مستحب في السنّه، والأمر بهذا الشكل في أبواب العلوم والمعارف التي لا تكون من المستقلات العقلية وتحتاج إلى تفسير وبيان الرسول ﷺ والأئمه ﷺ.

وما ينبغي الالتفات إليه كما ذكرنا سابقاً أنّ انحصار مقام تفسير القرآن في المرتبه الخاصه بالنبى وأهل بيته ﷺ لا- ينافي حجّيه القرآن الكريم لجميع أهل العالم من الجن والإنس، فلا تراحم بين أدلّه حجّيه القرآن وبين

١- محمّد (٤٧)، الآيه ٢٤.

٢- النساء (٤)، الآيه ١٧٤.

٣- يونس (١٠)، الآيه ٥٧.

ص: ١٠٠

الروايات المانعه عن التفسير بالرأى والتأويل، فكلُّ حقٍّ فى بابه؛ لأنَّ الأدلَّة المانعه عن تفسير القرآن خاصَّه والمثبته لحجَّيه القرآن عامَّه، ولا تنافى بين الخاصِّ والعامِّ، فيجب تحكيم الخاصِّ على العامِّ.

فى الوسائل، عن تفسير الإمام العسكريؑ قال:

... أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُتَمَسِّكِ الَّذِي لَهُ بِتَمَسُّكِ هَذَا الشَّرْفِ الْعَظِيمِ؟ هُوَ الَّذِي أَخَذَ الْقُرْآنَ وَتَأْوِيلَهُ عَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، عَن وَسَائِطِنَا السُّفَرَاءِ عَنَّا إِلَى شَيْعَتِنَا لَا عَن آرَاءِ الْمُجَادِلِينَ وَقِيَاسِ الْفَاسِقِينَ. فَأَمَّا مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ، فَإِنْ اتَّفَقَ لَهُ مُصَادَفُهُ صَوَابٌ، فَقَدْ جَهِلَ فِي أَخْذِهِ عَن غَيْرِ أَهْلِهِ وَكَانَ كَمَنْ سَلَكَ مَسْبَعًا مِنْ غَيْرِ حِفَاطٍ يَحْفَظُونَهُ؛ فَإِنْ اتَّفَقَتْ لَهُ السَّلَامَةُ، فَهُوَ لَا يَعْدُمُ مِنَ الْعُقَلَاءِ الدَّمِّ وَالتَّوْبِيخِ وَإِنْ اتَّفَقَ لَهُ افْتِرَاسُ السَّبْعِ، فَقَدْ جَمَعَ إِلَى هَلَاكِهِ سِقُوطَهُ عِنْدَ الْخَيْرِينَ الْفَاضِلِينَ وَعِنْدَ الْعَوَامِّ الْجَاهِلِينَ؛ وَإِنْ أَخْطَأَ الْقَائِلُ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَقَدْ تَبَوَّأَ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ؛ وَكَدَانٌ مِثْلُهُ مِثْلَ مَنْ رَكَبَ بَحْرًا هَائِجًا بِلَمَّا مَلَّاحٍ وَلَمَّا سَفِينَةٍ صَحِيحَةٍ لَا يَسْمَعُ بِهَلَاكِهِ أَحَدٌ إِلَّا قَالَ: هُوَ أَهْلٌ لِمَا لِحَقَّهُ وَمُسْتَحَقٌّ لِمَا أَصَابَهُ... (١).

واضح أنَّه ليس للقرآن فى مرتبه دعوته العامه ما يحتاج إلى قياس الفاسقين وآراء المجادلين. ولا يوجد فى تلك المرتبه استنباط كى يصيب أو يخطئ بل فى

١- وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٢٠١، ح ٦٣ [٣٣٥٩٤]؛ تفسير الإمام الحسن العسكريؑ، ص ١٤، ح ١٤ باختلاف يسير.

ص: ١٠١

هذه وأمثاله، قرينه على أن الحرام والممنوع في الأحاديث إعمال الرأى في العلوم التي تحتاج إلى الاستنباط. وضرورى أنه لا سبيل إلى ذلك في الأحكام وغيره من العلوم والمعارف إلّا الأخذ عن أهل البيت.

### تبعات التفسير بالرأى

مع وجود المنع الشديد من التفسير بالرأى وحرمة، إلّا أن البعض، قال بالرأى واستغنى عن بيان الرسول الأكرم ﷺ وفسر الآيات القرآنية بأمور توافق آرائه وتخبراته ولأجل رفع التهافت الموجود في آرائه وأفكاره، قام مجبراً بتأويلات لا أساس لها. فعلى سبيل المثال لقد فسّروا الوحي باتّصال نفس النبى بعالم العقل وأنّ المليك من خواصّ نفس الرسول (١)، وأنّ المعجزات لا بدّ من تطبيقها على قانون العلّية والمعلولية. وحاصل مقالاتهم أنّ القوانين الفلسفية والعرفانية في كلّ باب من أبواب المعارف الإلهية من المبدأ والمعاد، حاكمه على القرآن والسنة ولا بدّ من تنزيل الآيات والروايات من مقامهما الشامخ وتأويلهما إذا كانت مخالفه لتلك القوانين.

في هذه الطريقة التفسيرية الواضح بطلانها ووهنها يُفسّر القرآن في غير الأحكام، بالآراء الشخصية، هذا من جانب؛ ومن جانب آخر أنّ مفسرى أهل السنة تشبّثوا بكلمات القدماء من المتكلمين في خلق القرآن

١- قال ميرداماد في كتابه القبسات، ص ٤٠٢: وحقيقه الإيحاء والوحي مخاطبه العقل الفعّال للنفس الناطقة بألفاظ منظّمة مسوّغه مفضّله.

ص: ١٠٢

وقدّم الكلام (١)، ومخلوقيه أفعال العباد واستقلال العباد في أعمالهم وأفعالهم، (٢) وكل واحد منهم يؤيد مذهبه بآيه وينقض ما يخالفه بآيه أخرى. إنهم يفسّرون آيات الأحكام بما عندهم من المباني ويعرضون القرآن على ما عندهم من العلوم والآراء، فإن طابق مع ما عندهم فيها، وإلا أولوا الآيات الشريفه، لتطابق آرائهم العقائديه والفكرية.

فالواجب على أهل الاسلام أن يعرضوا جميع العقائد والآراء والأنظار على القرآن في مرتبه دعوته العامه من نصوصه ومحكماته وأصوله المسلّمه الواضحه، وفي مرتبه علومه الخاصه فإنّه يجب عرضها على القرآن بعد تفسيره وتوضيحه بتعليم الرسول ﷺ والأئمه ﷺ من أهل بيته فإن طابق القرآن اعتقدوا وتمسّكوا به وإن لم يطابقه، فلا بدّ من التوقّف والتثبت وإيكال علمه إلى الله وأوليائه ﷺ. وليعلموا أن القرآن لا يكون آيات بينات إلّا في صدور الذين أوتوا العلم وهو ضلال لغيرهم في مرتبه الدعوه الخاصه.

- ١- قال الإمام الطحاوي في شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٦٩ بعد ما ذكر تسعه أقوال في المسأله يقول في القول التاسع إنّ هذا القول مأثور عن أئمه الحديث والسنة وهو: إنّ تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأنّ نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً. لمزيد من الاطلاع راجع كتاب: سدّ المفرد على قائل بالقدر، ص ٢٣
- ٢- قال إمام الحرمين أبو الحسين البصري: إنّ أفعال العباد بقدره خلقها الله تعالى في العبد. لمزيد من الاطلاع راجع كتاب: مرآه العقول، ج ٢، ص ١٩٥ ٢١٣؛ الملل والنحل (للشهرستاني)، ج ١، ص ٥٦ (الفصل الأول، المعتزله).

ص: ١٠٣

يقول الإمام على ؑ ضمن احتجاجه مع زنديق حول آيه متشابهه:

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلْعِلْمِ أَهْلًا، وَفَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ طَاعَتَهُمْ بِقَوْلِهِ؟ ؑ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١) ؑ وَبِقَوْلِهِ: ؑ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ (٢) ؑ وَبِقَوْلِهِ: ؑ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (٣) ؑ وَبِقَوْلِهِ: ؑ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (٤) ؑ [وَبِقَوْلِهِ: ؑ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ؑ وَالْبُيُوتُ هِيَ بُيُوتُ الْعِلْمِ الَّتِي اسْتُودِعَتْهُ الْأَنْبِيَاءُ وَأَبْوَابُهَا أَوْصِيَاءُهُمْ، فَكُلُّ مَنْ عَمِلَ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ، فَجَرَى عَلَى غَيْرِ أَيْدِي أَهْلِ الْإِسْطِفَاءِ وَعُهُودِهِمْ وَشَرَائِعِهِمْ وَسُنَنِهِمْ وَمَعَالِمِ دِينِهِمْ، مَرْدُودٌ وَغَيْرُ مَقْبُولٍ وَأَهْلُهُ بِمَحَلِّ كُفْرٍ وَإِنْ شَمِلَتْهُمْ صِفَةُ الْإِيمَانِ ... (٥)

وقال الإمام الصادق ؑ:

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا، فَخَتَمَ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، فَخَتَمَ بِهِ الْكُتُبَ فَلَا كِتَابَ بَعْدَهُ أَحَلَّ فِيهِ حَلَالًا

١- النساء (٤)، الآية ٥٩.

٢- النساء (٤)، الآية ٨٣.

٣- التوبة (٩)، الآية ١١٩.

٤- آل عمران (٣)، الآية ٧.

٥- الاحتجاج، ج ١، ص ٢٤٨؛ بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ٢٦٦، ح ٢٣ (الباب ٢٤ من أبواب الإيمان والإسلام والتشيع و... من كتاب الإيمان والكفر).

ص: ١٠٤

وَحَرَّمَ حَرَامًا، فَحَلَالُهُ حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحَرَامُهُ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِ شَرْعُكُمْ وَخَبَرٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَبَعْدُكُمْ.

وَجَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَمًا بَاقِيًا فِي أَوْصِيَاءِهِ فَتَرَكَهُمْ النَّاسُ وَهُمْ الشُّهَدَاءُ عَلَى أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ، وَعَدِلُوا عَنْهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُمْ وَاتَّبَعُوا غَيْرَهُمْ، ثُمَّ أَخْلَصُوا لَهُمُ الطَّاعَةَ، حَتَّى عَانَدُوا مَنْ أَظْهَرَ وَلَايَةَ وَلَاهِ الْأَمْرِ وَطَلَبَ عُلُومَهُمْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﷻ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ (١) ﷻ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ ضَرَبُوا بَعْضَ الْقُرْآنِ بِبَعْضٍ، وَاحْتَجُّوا بِالْمَنْسُوحِ، وَهُمْ يَطُنُّونَ أَنَّهُ النَّاسِخُ، وَاحْتَجُّوا بِالْمُتَشَابِهِ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ الْمُحْكَمُ وَاحْتَجُّوا بِالْخَاصِّ، وَهُمْ يَقْدِرُونَ أَنَّهُ الْعَامُّ، وَاحْتَجُّوا بِأَوَّلِ الْآيَةِ وَتَرَكُوا السَّبَبَ فِي تَأْوِيلِهَا، وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى مَا يَفْتَحُ الْكَلَامَ، وَإِلَى مَا يَخْتِمُهُ، وَلَمْ يَعْرِفُوا مَوَارِدَهُ وَمَصَادِرَهُ، إِذْ لَمْ يَأْخُذُوهُ عَنْ أَهْلِهِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوحِ وَالْخَاصَّ مِنَ الْعَامِّ وَالْمُحْكَمَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ وَالرُّخَصَ مِنَ الْعَزَائِمِ وَالْمَكِّيَّ وَالْمَدَنِيَّ وَأَسْبَابَ التَّنْزِيلِ وَالْمُبْهَمَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي أَلْفَاظِهِ الْمُنْقَطِعَةِ وَالْمُؤَلَّفَةِ وَمَا فِيهِ مِنْ عِلْمِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ وَالْمُبَيِّنِ وَالْعَمِيقِ وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَالْإِبْتِدَاءِ وَالْإِنْتِهَاءِ وَالسُّؤَالَ وَالْجَوَابَ وَالْقَطْعَ وَالْوَصْلَ وَالْمُسْتَشْنَى مِنْهُ وَالْجَارِيَ فِيهِ وَالصَّفْهَ لِمَا قَبْلُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَا بَعْدَ وَالْمُؤَكَّدَ

ص: ١٠٥

مِنْهُ وَالْمُفَصَّلِ، وَعَزَائِمِهِ وَرُخَصِهِ، وَمَوَاضِعَ فَرَائِضِهِ وَأَحْكَامِهِ وَمَعْنَى حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ الْمُلَجَّدُونَ، وَالْمَوْصُولِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَحْمُولِ عَلَى مَا قَبْلَهُ وَعَلَى مَا بَعْدَهُ فَلَيْسَ بِعَالِمٍ بِالْقُرْآنِ وَلَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ... (١).

### وقفه مع منهج الصحابه والتابعين فى التفسير

إِنَّ فَتْنَةً مِنْ بَيْنِ مُسْلِمَى صَدَرِ الْإِسْلَامِ أَقْبَلُوا إِلَى الْقُرْآنِ بِقُلُوبِهِمْ وَاعْتَرَفُوا مِنْ زُلَالٍ مَعَارِفِهِ الَّتِي نَبَعَتْ مِنْ تَعَالِيمِ الرَّسُولِ ﷺ وَارْتَوُوا مِنْهُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ قَرِيبِينَ مِنَ الْوَحْيِ وَتَعَالِيمِ السَّمَاءِ؛ أَمْثَالُ سُلَيْمَانَ وَأَبِي ذَرٍّ، السَّابِقِينَ إِلَى سَاحَاتِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَدَمْ. فَبَعْدَ رَحْلَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَمَعَ الْمُؤَامَرَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي حِيَكْتَ مِنْ قَبْلِ خُلَفَاءِ الْجُورِ، وَالانْحِرَافِ فِي مَسْأَلَةِ الْإِمَامَةِ وَقِيَادَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَإِنَّ طَرِيقَ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ خَرَجَتْ عَنْ مَسَارِهَا الصَّحِيحِ. إِنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ كَانَتْ السَّبَبَ فِي خَلْقِ آفَاتٍ وَصُدُمَاتٍ شَتَّى عَلَى الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي لَمْ يَمُضْ عَلَى تَأْسِيسِهِ إِلَّا سَنَوَاتٌ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَسَاسَ الْانْحِرَافَاتِ التَّفْسِيرِيَّةِ التَّالِيَةِ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا الزَّمَنِ.

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ صَحَّ وَثَبَتَ عِنْدَ رِجَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي صَدَرِ الْإِسْلَامِ الْغُورُ وَالْخَوْضُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ وَالتَّمَاسُ عَجَائِبُهُ وَغَرَائِبُهُ، وَإِخْلَاصُهُمْ مَقْبُولٌ

١- بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣ (الباب ١٢٨ من أبواب فضائل سور القرآن وآياته من كتاب القرآن) سيأتي شرح الحديث فى الدرس السابع.



ص: ١٠٦

عند عموم المسلمين. فإنهم بذلوا غاية مجهودهم فى أمر الدين وتشديد مبانيه وتحكيم أصوله، فكيف يجوز التخطى والتجاوز عن مشيهم. وهم الوسائط بيننا وبين الرسول فى جميع الشؤون الدينيه فكيف يمكن أن يقال: إن مشيهم فى تفسير القرآن واستنباط الأحكام وتحقيق المعارف نابع ومحدث من عند أنفسهم، غير متلق عن الرسول؟

قلت: رجال الاسلام مع ما لهم من الشؤون يحرم علينا تقليدُهم، ولا يجوز تصحيح طريقتهم فى دراسه العلوم الدينيه، فالواجب علينا التحزى وبذل المساعى فى إحقاق الحق واستنباط العلوم والأحكام من المجارى الصحيحه. ولا يجوز لأحد توقيف العلوم على أفهامهم وعقولهم. هذا أولاً.

ثانياً: إن التنويه بأسمائهم وشده مساعيهم يكذبها العيان، فإنهم لم يحفظوا عن رسول الله ﷺ وضوء مدّه عمره مع وجوده ﷺ بين أظهرهم. (١)

ثالثاً: ليس فيهم مقام علمي يجمع شتاتهم ويقودهم على أمر واحد حتى أن بعضهم قد منع عن كتابه الحديث ونقل السنّه النبويه. (٢)  
رابعاً: إن المشهود من كلماتهم ومقالاتهم وكتبهم فى الفقه والتفسير آراء ساذجه (٣) مستنده إلى أصول ضعيفه وقياسات باطله؛ فهؤلاء لم يعرفوا

١- راجع: كتاب وضوء النبى ﷺ (للسيد على الشهرستاني).

٢- كما ورد عن عائشه أنها قالت: «جمع أبى الحديث عن رسول ﷺ وكانت خمسمائه حديث... قال أبى بتيه هلمى الأحاديث التى عندك فجئته بها، فدعا بنار فحرقها...». لمزيد الاطلاع راجع كتاب منع تدوين الحديث (للسيد على الشهرستاني).

٣- قال جصاص فى كتابه أحكام القرآن، ج ٢، ص ١١٣: «... روى عن عائشه أنها كانت ترى رضاع الكبير موجباً للتحريم كرضاع الصغير». لمزيد من الاطلاع راجع كتاب سنن النسائي، ج ٦، ص ١٠٤.

ص: ١٠٧

الناسخ من المنسوخ فى الكتاب والسنة، والخاص من العام والمحكم من المتشابه، ولم يتقن أحد من الصحابه والتابعين أصول التفسير والاستنباط، ولم يحفظوا عن الرسول ﷺ فى جميع ما يحتاجون إليه فى فهم مسأله واحده.

ورد فى الكافى، عن على بن إبراهيم مسنداً عن سليم بن قيس الهلالى قال:

قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: إِنِّي سَمِعْتُ مِنْ سَلْمَانَ وَالْمِقْدَادِ وَأَبِي ذَرٍّ شَيْئاً مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثَ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ غَيْرَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، ثُمَّ سَمِعْتُ مِنْكَ تَصَدِيقَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُمْ وَرَأَيْتُ فِي أَيْدِي النَّاسِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَمِنْ الْأَحَادِيثِ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ أَنْتُمْ تُخَالِفُونَهُمْ فِيهَا، وَتَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ كُلُّهُ بَاطِلٌ؛ أَفَتَرَى النَّاسَ يَكْذِبُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَعَمِّدِينَ وَيُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِأَرَائِهِمْ؟

قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ. فَقَالَ: قَدْ سَأَلْتَ فَأَفْهَمِ الْجَوَابَ:

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَمّاً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهْماً. وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً. فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَى الْكَذَّابَةِ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ؛ ثُمَّ كَذَبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ.

وَإِنَّمَا أَتَاكُمُ الْحَدِيثُ مِنْ أَرْبَعِهِ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ: رَجُلٌ مُنَافِقٌ يُظْهِرُ الْإِيمَانَ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ، لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ أَنْ يَكْذِبَ

ص: ١٠٨

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَعَمِّدًا. فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَذَّابٌ، لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَيِّدْ قُوَّهُ وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: هَذَا قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَرَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ؛ وَأَخَذُوا عَنْهُ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ حَالَهُ. وَقَدْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَهُ وَوَصَّيْهُمْ بِمَا وَصَّيْهُمْ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﷻ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﷻ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَيْمَنِ الصَّلَاةِ وَالِدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ فَوَلَّوهُمْ الْأَعْمَالَ وَحَمَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالِدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ؛ فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ.

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى وَجْهِهِ وَوَهَمَ فِيهِ وَلَمْ يَتَّعَمِدْ كَذِبًا فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، يَقُولُ بِهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيُرْوِيهِ، فَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ لَمْ يَقْبَلُوهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ وَهَمَ لَرَفَضَهُ.

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا أَمَرَ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ مَنْسُوخَهُ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ. وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ. وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَأَخْرَجَ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَنْسَهُ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى

ص: ١٠٩

وَجِهَهُ فَخِإَاءَ بِهِ كَمَا سَمِعَ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، وَعَلِمَ النَّاسُخَ مِنَ الْمَنْسُوحِ، فَعَمِلَ بِالنَّاسِخِ وَرَفَضَ الْمَنْسُوحَ؛ فَإِنَّ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلُ الْقُرْآنِ نَاسِخٌ وَمَنْسُوحٌ [وَخَاصٌّ وَعَامٌّ] وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ قَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكَلَامُ لَهُ وَجِهَانِ: كَلَامٌ عَامٌّ وَكَلَامٌ خَاصٌّ مِثْلُ الْقُرْآنِ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﷻ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﷻ فَيُشْتَبِهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ وَلَمْ يَدْرِ مَا عَنِ اللَّهِ بِهِ وَرَسُولُهُ ﷻ وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷻ كَانَ يَسْأَلُهُ عَنِ الشَّيْءِ فِيهِمْ وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْأَلُهُ وَلَا يَسْتَفْهِمُهُ حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ فَيَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷻ حَتَّى يَسْمَعُوا.

وَقَدْ كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷻ كُلَّ يَوْمٍ دَخَلَهُ وَكُلَّ لَيْلَةٍ دَخَلَهُ فَيُخَلِّينِي فِيهَا أُدَوِّرُ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ. وَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷻ أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي، فَرُبَّمَا كَانَ فِي بَيْتِي يَأْتِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷻ أَكْثَرَ ذَلِكَ فِي بَيْتِي، وَكُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ مَنَازِلِهِ أَخْلَانِي وَأَقَامَ عَنِّي نِسَاءَهُ، فَلَا يَبْقَى عِنْدَهُ غَيْرِي، وَإِذَا أَتَانِي لِلْخُلُوهِ مَعِيَ فِي مَنْزِلِي لَمْ تَقُمْ عَنِّي فَاطِمَةُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي؛ وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُهُ أَحْيَانِي وَإِذَا سَكَتَ عَنْهُ وَفَتَيْتَ مَسَائِلِي ابْتِدَائِي، فَمَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷻ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَقْرَأْنِيهَا وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ فَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا

ص: ١١٠

وَتَفْسِيرَهَا، وَنَاسِخَهَا وَمَنْسُوخَهَا، وَمُحْكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا، وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يُعْطِنِي فَهْمَهَا وَحِفْظَهَا فَمَا نَسِيْتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا عَلِمًا أَمْلَأَهُ عَلَيَّ وَكَتَبْتُهُ مُنْذُ دَعَا اللَّهَ لِي بِمَا دَعَا، وَمَا تَرَكَ شَيْئًا عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ، وَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ، كَانَ أَوْ يَكُونُ، وَلَا كِتَابٍ مُنْزَلٍ عَلَيَّ أَحَدٍ قَبْلَهُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا عَلَّمَنِيهِ وَحَفِظْتُهُ، فَلَمْ أَنْسَ حَرْفًا وَاحِدًا.

ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صِدْرِي وَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَمْلَأَ قَلْبِي عِلْمًا وَفَهْمًا، وَحُكْمًا وَنُورًا. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مُنْذُ دَعَوْتَ اللَّهَ لِي بِمَا دَعَوْتَ لَمْ أَنْسَ شَيْئًا وَلَمْ يَفُتْنِي شَيْءٌ لَمْ أَكْتُبْهُ أَفَتَحْوَفُ عَلَى النَّسِيَانِ فِيمَا بَعْدُ؟ فَقَالَ: لَا، لَسْتُ أَتَحَوَّفُ عَلَيْكَ النَّسِيَانِ وَالْجَهْلَ. (١)

فتلخص ممّا ذكرنا؛ أنّ مورد التفسير بالرأى المحرّم هو الاستقلال في تفسير القرآن في مرتبه علومه الخاصه لا سيما في المقيّدات والمخصّصات المودعه عند النبي ﷺ. ولا يكفي في المقام تفسير القرآن بالقرآن.

## ١٧ التّأويل

### التّأويل في القرآن

١- الكافي، ج ١، ص ٦٢، ح ١؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢٨، ح ١٣ (الباب ٢٩ من أبواب العلم من كتاب العقل والعلم والجهل).





ص: ١١٣

قال الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١). ﴿٢﴾

لقد صرح الله تعالى في هذه الآية بانقسام الكتاب إلى المحكم والمتشابه وصرح أيضاً بأن الآخذين بالكتاب والمتمسكين به بلحاظ الاعتقاد والعمل به ينقسمون على قسمين:

القسم الأول: أهل الزيغ والأهواء والانحراف ييغون على سبيل الحق، إنهم وبتصريح القرآن يتبعون المتشابهات. ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾؛ أي: من الكتاب. ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾؛ أي: طلباً للفتنة. والفتنة، الكفر وما دونه من البدع



ص: ١١٤

والضلالات، فطريقه هذه الفرقه الضالّه اتّباع المتشابهات وترك المحكمات لأجل ابتغاء الفتنة وتأسيسها وإقامتها. **وَإِتِّغَاءَ تَأْوِيلِهِ**؛ هذه بغية أخرى لهم أسوأ عاقبه وأشدّ ضرراً على الدين وأهله؛ وهى التعرّض لتأويل الكتاب محكمه وظاهره ومتشابهه، يؤوّلونه حسب ميولهم وطبقاً لآرائهم ويحرّفون الكلم عن مواضع الإفاده والاستفاده، ويغيّرون مناهج الإفهام والتفهيم بالمغالطات، كى تنطبق على ما يأخذونه من المتشابهات؛ فيقيمون بذلك عماد ضلالهم وزلتهم. ولو أنّهم بعد أخذ المتشابهات لم يؤوّلوا الكتاب وتمسّكوا بمحكماته ونصوصه وظواهر الدين، لمّا كان ضررهم على الاسلام بهذا المقدار، ولم يتمكّنوا من إغواء الضعفاء وإضلال العوام؛ فهذه المصيبة هى أعظم مصيبة فى الدين وباب الضلالات التى ينفّث منها ألف باب من الضلال.

وقد بُلى القرآن الكريم بهذه البليّة العظمى، وباشتدادها صار أمر التأويل شائعاً رائجاً، جائزاً عادياً، فما بقى فى القرآن أصل محكم إلّا أصابته بليّة التأويل. منها تأويل المعاد والجَنّة والنّار بالمثل الخياليّ المنشأ بإنشاء النفس. (١) ومنها هـ الفجور والفسوق والكفر والضلال إلى الله سبحانه

١- قال الحكيم اللاهوتى فى بدايع الأسرار، ص ١٢٩: إنّ أصحاب السعداء وأصحاب اليمين لصفاء قلوبهم وحسن أخلاقهم، يكون قرينهم فى الآخرة الصور الخياليّة، من الحور والقصور والحوض والشراب الطهور وفاكهه كثيره ولا- ممنوعه. وأمّا الأشقياء فلخبث بواطنهم وكدوره ذواتهم ممّا حضرهم فى القيامة، النار والسموم والعقارب والحيات التى تحصل فى دار المعاد أشدّ تأثيراً وإيلاًماً والتذاذاً من هذه المحسوسات. لمزيد من الاطلاع راجع كتاب معاد از دیدگاه قرآن، حديث وعقل (للشيخ حسين الربانى الميانجى).

ص: ١١٥

وأنّ نسبه فعل المَجْعُول والمعلول إلى الجاعل أولاً وبالذات، وإلى المَجْعُول ثانياً وبالعرض (١). ومنها تأويل الخلود (٢). ومنها تأويل حدوث العالم وإثبات قدمه (٣). ومنها تأويل معجزات الأنبياء وغير ذلك من الأمور.

والعجب أنّهم رموا من كان معتقداً بهذه النصوص والمحكمات من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين وحمله الدين بالقشريه ونسبوههم إلى الجهالة والسذاجة. وهذه النسبه خلاف الانصاف والحق.

مع أنّ القرآن الكريم له تأويل واحد واقعي مقصود لله تعالى، ولا يمكن فهمه إلّا بالرجوع إلى مجراه الصحيح. إنّ المنحرفين لم يتركوا طلب التأويل

١- كما قال ابن عربيّ في الفتوحات، ج ٢، ص ١٤٠: ... وفي نفس الأمر، الفعل فعل الله والقدر من الله والحكم بكونها معصيه وزله ومع هذا، فالأدب يقول له انسبها إلى نفسك. لمزيد من الاطلاع راجع كتاب سدّ المفرد على القائل بالقدر (للشيخ محمد باقر علم الهدى).

٢- كما قال ابن عربيّ في فصوص الحكم، ص ١٦٩ في فصّ ١٨ يونسية: ... وأمّا أهل النار فمآلهم إلى النعيم، ولكن في النار، إذ لا بدّ لصوره النار بعد انتهاء مدّه العقاب، أن تكون برداً وسلاماً على من فيها وهذا نعيمهم. لمزيد من الاطلاع راجع كتاب معاد از دیدگاه قرآن، حديث و عقل.

٣- يقول الشيخ محمد تقی الآملی في درر الفوائد، ج ١، ص ٢٦٣: وأمّا على طريقه صدر المتألهين، فالعقول المفارقة خارجه عن الحكم بالحدوث، لكونها ملحقه بالصنع الربوبيّ لغلبه أحكام الوجود عليها؛ فكأنّها موجودة بوجوده تعالى لا بإيجاده. لمزيد من الاطلاع راجع كتاب السنخيه أم الاتحاد والعيثيه أم التباين، (للسيد جعفر السيدان).

ص: ١١٦

الواقعي فحسب، بل بذلوا قصارى جهدهم في التلاعب بكتاب الله وأحكامه ومعارفه ولذلك أولوا ظواهر الآيات القرآنية بأنواع الشيطنة والمغالطات.

وقد وقع الاختلاف بين المفسرين في مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿ابْتَغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾. والظاهر من سياق الآية صدراً وديلاً أن الضمير راجع إلى الكتاب لا المتشابه فقط. والشاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (١).

ولا يخفى أن المراد من لفظ التأويل والظاهر منه هو المعنى المصدري وهذا لا ينافي ما سيأتي من أن جميع الكتاب ظاهره ومتشابهه له تأويل واقعي مراد لله سبحانه وله بطون وتخوم إلى سبعة أبطن. فإن ما يناسب عمل الزائعين من التأويل هو السعي لصرف الآيات عن ظواهرها بالمغالطة والشيطنة لا ابتغاء التأويل الواقعي المراد عند الله سبحانه. وما لهم والتأويل الواقعي؟! فإنهم ما قصدوه وما طلبوه. كيف؛ وبغيتهم وغايه آمالهم التلاعب بالكتاب وبما يتضمن من المعارف والأحكام؟!

القسم الثاني: الراسخون المستضيئون بنور العقل، وهم العارفون، بأن القول بغير العلم جنايه بالضرورة وأن تحريف الكلم عن مواضعه، كفر بآيات الله بالبداهه؛ فسبيلهم السكوت عن ما لا يعلمون من المتشابه والقيام بما يعرفون من الدين، احتراماً للحق وتشريعاً للعلم وامثالاً. لله جل شأنه، والإيمان بما يعلمون وما لا يعلمون من آيات الله وسنة نبيه والاعتقاد بأن طلب العلم فريضه، يدعو إليه العقل ويهدي إليه الشرع.

### معنى التأويل

ص: ١١٧

١ ما المراد من التأويل الذى استأثره الله تعالى لنفسه وللراسخين من أوليائه؟ وهل للقرآن بعد مفاد المحكمات والنصوص والظواهر وجوامع الكلم التى كلم الله به خلقه وتجلّى لهم فى كلامه ولكنهم لا يبصرون، معانٍ ومداليلُ تسمى بالتأويل؟

لقد صرّحت محكمات الكتاب بوجود التأويل وتواترت السنّة من الرسول ﷺ والأئمّة من أهل البيت الطاهرين ﷺ على ذلك. وقد صرّحت تلك النصوص بوجوب الإيمان بظاهر القرآن وباطنه وتنزيله وتأويله فلا يُقبل إيمان الباطنيّة بعد ما انكروا الظاهر وكفروا به، ولا إيمان الظاهريّة بعد ما ردّوا التأويل الذى بيّن لهم الرسول ﷺ وخلفاؤه ﷺ، بل الواجب أن يقولوا: ﷻ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا. ولا فرق فى التأويل بين تأويل الكتاب وتأويل المتشابه من الكتاب، من حيث الأحكام والآثار المترتبة على حقيقته. نعم بينهما فرق من حيث التحقق، فتأويل المحكمات والنصوص والظواهر بعد الفراغ عن كاشفيتها وسنديتها للمعانى المراده منها؛ ثم تصل النوبة إلى المراتب التأويليّة بخلاف المتشابه فظواهره ليست مراده منه ولا يكون اللفظ ظاهراً فى معناه التأويليّ إلّا بعد البيان. وستعرف أنّه لم يقصد من هذه المعانى التأويليّة، إفهام عامّة الخلق فى عرف التخاطب وإنّهم لا يفهمون منها هذه المعانى وإنّما أفاض الله تعالى علمها على خاصّه أوليائه.

والحقّ أنّ التأويل مدلول كلامي ومفهوم من الألفاظ، عنى به المتكلم

ص: ١١٨

إفهاماً لمن خاطبه.

والفرق بينه وبين التفسير، إنما هو في أنّ التفسير أقرب من مقاصد المتكلم من حيث الإفهام والتفهم. والتأويل في مرتبه متأخره عن التفسير وهو مآل الكلام ومرجعه النهائي. وقد صرح أهل اللغة أنّ «الأول» هو الرجوع، ومن هذا الباب ما يقال: «آل» الأمر إلى كذا. (١) فتأويل الكلام من أفراد التأويل العام اللغوي، غايه الأمر أنّ مآل كلّ شيء بحسبه وبما يناسبه ويلائمه، بخلاف التفسير فإنّه في اللغة بمعنى كشف القناع، وينطبق على الكلام الذي يوضح ويبين المراد من كلام آخر، فتقييد المطلق بدليل آخر وتخصيص العام بالقرينه المنفصله داخلان في باب التفسير لا التأويل.

وينبغي الالتفات إلى أنّه قد يطلق أحدهما على الآخر في بعض الموارد، لوجود مناسبه أو بعنايه خاصه.

فلا يجوز الأخذ بالمطلق والعام، إذا كان دأب المتكلم وسنته الاعتماد على القيود والقرائن الخارجيه المنفصله عن الكلام، بل الواجب الفحص والبحث عن مواضعها ومطائنها؛ فظهور الكلام قبل الفحص عن القرائن، ظهور بدوي لا يجوز الأخذ والتمسك به.

## مقل التأويل

### اشاره

هل التأويل مختص بالمتشابه أو أنّه ثابت لجميع القرآن؟

الظاهر من الآيه المتقدمه أنّ التأويل ثابت لجميع القرآن، لما عرفت من

١- راجع: لسان العرب، ج ١١، ص ٣٢؛ المصباح المنير، ج ٢، ص ٢٩.

ص: ١١٩

أنّ السياق يقتضى رجوع الضمير فى **﴿تَأْوِيلُهُ﴾** إلى الكتاب لا المتشابه؛ والشاهد عليه رجوع الضمير فيما بعد أى قوله تعالى: **﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾** (١) إلى الكتاب، هذا أولاً.

وثانياً: يدلّ على ذلك آيات أخرى وروايات كثيرة نشير إليها باختصار:

### الف) الآيات

قوله تعالى:

**﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ...﴾** (٢)

**﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ... بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾** (٣)

إنّ ضمير **﴿تَأْوِيلُهُ﴾** فى الآية الأولى راجع إلى قوله: **﴿بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ﴾** وفى الثانية راجع إلى **﴿مَا﴾** فى قوله: **﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾**.

### ب) الروايات

ورد فى بحار الأنوار، عن البصائر، عن أحمد بن محمد مسنداً عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله **﴿يقول﴾**:

١- آل عمران (٣)، الآية ٧.

٢- الأعراف (٧)، الآية ٥٢ ٥٣.

٣- يونس (١٠)، الآية ٣٧ ٣٩.

ص: ١٢٠

إِنَّ لِلْقُرْآنِ تَأْوِيلًا فَمِنْهُ مَا قَدْ جَاءَ وَمِنْهُ مَا لَمْ يَجِئْ فَإِذَا وَقَعَ التَّأْوِيلُ فِي زَمَانٍ إِمَامٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَرَفَهُ إِمَامٌ ذَلِكَ الزَّمَانُ. (١)

وفيه أيضاً، عنه، عن محمد بن الحسين مسنداً عن فضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر □ عن هذه الرواية > مَا مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٍ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ فَقَالَ:

ظَهْرُهُ تَنْزِيلُهُ وَبَطْنُهُ تَأْوِيلُهُ، مِنْهُ مَا قَدْ مَضَى وَمِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَجْرِي كَمَا يَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ؛ كُلَّمَا جَاءَ تَأْوِيلُ شَيْءٍ مِنْهُ يَكُونُ عَلَى الْأَمْوَاتِ، كَمَا يَكُونُ عَلَى الْأَحْيَاءِ قَالَ اللَّهُ: □ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ □ نَحْنُ نَعْلَمُهُ. (٢)

وفي كمال الدين، عن المظفر بن جعفر مسنداً عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت علياً □ يقول:

مَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ □ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَقْرَأْنَاهَا وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ، وَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي، وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا، وَتَفْسِيرَهَا وَنَاسِخَهَا وَمَنْسُوخَهَا وَمُحْكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا... (٣).

١- بصائر الدرجات، ص ١٩٥، ح ٥؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٩٧، ح ٦٢ (الباب الثامن من أبواب فضله واحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

٢- بصائر الدرجات، ص ١٩٦، ح ٧؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٩٧، ح ٦٤.

٣- . كمال الدين وتمام النعمه، ج ١، ص ٢٨٤، ح ٣٧؛ بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٢٥٧، ح ٧٥ (الباب ٤١ من أبواب نصوص على أمير المؤمنين □... من كتاب تاريخ أمير المؤمنين □).

ص: ١٢١

وفى الاحتجاج، عن عليّ ؑ قال:

سَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلٍ وَلَمَّا نَهَارٍ، وَلَا مَسِيرٍ وَلَا مَقَامٍ إِلَّا وَقَدْ أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا؛ فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ وَأَنْتَ غَائِبٌ عَنْهُ؟ قَالَ: كَانَ [يَحْفَظُ عَلَيَّ] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهُ، حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْهِ فَيَقْرَأَنِيهِ وَيَقُولُ لِي يَا عَلِيُّ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَعْدَكَ كَذَا وَكَذَا وَتَأْوِيلُهُ كَذَا وَكَذَا فَيُعَلِّمُنِي تَنْزِيلَهُ وَتَأْوِيلَهُ. (١)

وفى تفسير القمّي، عن أبيه مسنداً عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر ؑ قال:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ قَدْ عَلِمَ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْئاً، لَمْ يُعَلِّمَهُ تَأْوِيلَهُ وَأَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ ... (٢)

وفى تفسير العياشي، عن أبي عبد الرحمن السلمي:

إِنَّ عَلِيّاً ؑ مَرَّ عَلَى قَاضٍ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْشُوخِ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَالَ: هَلَكْتَ وَأَهْلَكَتَ، تَأْوِيلُ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ

١- الاحتجاج، ج ١، ص ٢٤١؛ بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٢٥، ح ٤ (الباب الثامن من أبواب احتجاجات أمير المؤمنين ؑ من كتاب الاحتجاج).

٢- تفسير القمّي، ج ١، ص ٩٦؛ بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٩٢، ح ١٥ (الباب العاشر من أبواب الآيات النازلة فيهم... من كتاب الإمامه).



ص: ١٢٢

## الْقُرْآنَ عَلَى وَجْهِهِ (١).

وفيه، عن السكوني، عن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه □ قال: قال رسول الله □:

إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (٢). □

وفيه، عن يوسف بن السخت البصري قال: رأيت التوقيع بخط محمد بن محمد بن علي فكان فيه:

الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ أَنْ تَقُولُوا: إِنَّا قُدُّوهُ اللَّهُ وَأَنَّمَهُ وَخُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَأَمَنَّاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَحُجَّجُهُ فِي بِلَادِهِ؛ نَعْرِفُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَنَعْرِفُ تَأْوِيلَ الْكِتَابِ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٣).

وفيه، عن أبي الصباح قال: قال أبو عبد الله □:

إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ نَبِيَّهُ □ التَّنْزِيلَ وَالتَّأْوِيلَ، فَعَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ □ عَلِيًّا (٤). □

١- تفسير العياشي، ج ١، ص ١٢، ح ٩؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٩٥، ح ٤٩ (الباب الثامن من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

٢- تفسير العياشي، ج ١، ص ١٢، ح ٦؛ وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٢٠٤، ح ٧٥ [٣٣٦٠٦] (الباب ١٣ من أبواب صفات القاضي من كتاب القضاء).

٣- تفسير العياشي، ج ١، ص ١٦، ح ١٠؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٩٦، ح ٥٨ (الباب الثامن من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن) وفيه: «إنا قدوه والإئمة».

٤- تفسير العياشي، ج ١، ص ١٧، ح ١٣؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٩٧، ح ٦١.

ص: ١٢٣

فالمحتضّل من جميع هذه الروايات الشريفه وغيرها من الروايات أنّ القرآن كلّهُ محكمه ومتشابهه له تأويل. ولا- مانع من إرجاع الضمير في قوله تعالى: ﴿بِتَعَاةِ تَأْوِيلِهِ﴾ و﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ (١) إلى الكتاب كلّهُ لا المتشابه فقط.

### العالمون بالتأويل

إنّ القرآن الكريم يذكر المؤمنين والمنحرفين وكيفيّة تعاملهم مع الآيات المحكمه والمتشابهه ويبيّخ المنحرفين لاتباعهم الآيات المتشابهه ويؤكد على أنّ علم التأويل مختصّ بالله والراسخين في العلم.

يقول الله تبارك تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

ويظهر بعد التأمل أنّ الآية الكريمه، ليست في مقام إثبات علم التأويل لله تعالى فقط، بل إنّها في مقام بيان نفى الاستقلال والتفويض عن العالمين بالتأويل؛ أي كما أنّ الله سبحانه وتعالى هو السبب الأصلي في الأفعال الواقعه منه في نظام الأسباب والمسببات؛ ولم يفوّض الأمور إلى الأسباب كذلك، يجب أن يكون العالم بالتأويل مأذوناً من الله سبحانه؛ وعليه لا فرق في كون <الواو> في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ للعطف أو الاستئناف. فالعلم بالتأويل من خصائص الرسول وأهل بيته وغيّهم وإن كان عالماً وراسخاً في القرآن، لا يكون عالماً وراسخاً في علم التأويل،

١- آل عمران (٣)، الآية ٧.

٢- آل عمران (٣)، الآية ٧.

ص: ١٢٤

ولذلك لا يمكن أن يعرف العلماء التأويل إلا بالرجوع إليهم.

وقد فُسر **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** في كثير من الروايات بالنبي **ﷺ** وأهل بيته **عليهم السلام** وفيها التحذير من المنع من تأويل القرآن بالرأى.

بيان ذلك: إنه لا بد من نفى الاستقلاليته عن الأسباب في الأفعال التي تصدر عن الله ما عدا أفعال العباد الاختياريه في نظام الأسباب والمسببات. فمديرات الأمور الموكلة لإجراء أمره تعالى وإنفاذ حكمه، أسباب لا بد من تأثيرها في المسببات بإذنه. فعلى سبيل المثال إن الموكلين لقبض الأرواح وتوفى النفوس، مأمورون بإنفاذ أمره تعالى ولا استقلال لهم في ذلك ولا تفويض فيصح أن يقال: **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا (١)** وكذا يصح أن يقال: **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ (٢)**، ويصح أن يقال: لا قابض إلا الله. ويصح أيضاً أن يقال: إن قابض الأرواح هو عزرائيل **عليه السلام**؛ وهكذا في غيره من أفعاله سبحانه الواقعة في نظام الأسباب. فمعنى الحصر في هذه الموارد ليس إلما إثبات التوحيد وإبطال توهم الاستقلال والتفويض لا. نفى الأسباب بالكلية. ومن هذا الباب، باب الرزق والشفاء والعافيه. فلو كان أحد هذه الأسباب أو شرائطها تحت الاختيار فلا. محاله يكون متعلقاً للتكليف، فيجب أو يستحب على المكلف تنظيم الأسباب المقدوره لكسب الرزق مثلاً.

١- الزمر (٣٩)، الآية ٤٢.

٢- السجده (٣٢)، الآية ١١.

ص: ١٢٥

إذا تقرر ذلك فنقول: لا فرق في المقام بين كون «الواو» للعطف أو للاستئناف، فإن كان للعطف يكون المعنى: إن الله تعالى والراسخين في العلم يعلمون تأويل الكتاب، لا عامه المخاطبين. وإن كان للاستئناف يكون المعنى: إن الله تعالى يعلم تأويل الكتاب؛ وأما غيره تعالى فلا بد في إثبات علم التأويل لهم من دليل منفصل ولا يكون إلا في الراسخين في العلم.

وبما أن العلم بتأويل الكتاب، خارج عن حدود التعاليم العادية الأولية لكل أحد ولا يعلمه إلا الراسخون في العلم، فإن الناس غير مسؤولين عن تعلم التأويل، إلا أن عامه الناس وعامه الجن مسؤولون عن القرآن من حيث الإيمان به والاتقاء من الله وبما عرفوا وعلموا من دعوته وندائه العام إلى شرق العالم وغربه.

فهذه الآية الكريمة نص في أن التأويل لم يكلف به كل واحد مباشرة. وهي صريحة في أن التأويل لا يطلق على مداليل المحكمات والظواهر والنصوص إلا بضرب من العناية والتجوز.

ولا يهمننا البحث في أن علم الرسول ﷺ الذي هو أفضل الراسخين في العلم بالتأويل، يكون من مجرى هذه الكلمات والحروف أو أن له طريق آخر غير الألفاظ والحروف؟

لأنه بديهى أن الكلمات والألفاظ ليست طريقاً متعارفاً للتأويل، إذ لو كان كذلك لكان يناله الكل ولما كان للاستثناء وجه، فتعين أن الراسخين من أهل بيته ﷺ أخذوا علم التأويل عنه ﷺ ولا يمكن هذا الرسوخ لهم من عند أنفسهم.

ص: ١٢٦

إن قيل: ما المانع من القول بأن الراسخين في العلم يعلمون تأويل القرآن أو آياته المتشابهة بالتدبر والتفكر، كما أنهم يعلمون تنزيل الكتاب كذلك؟

قلت: قام الدليل على حججه كلام الله لمدلوله، سواء كان نصاً أو ظاهراً، أفاد اليقين أو الاطمئنان؛ فصار حجه وسنداً بين الله وبين عباده في العمل بالكتاب، وأما الوصول إلى تأويل الكتاب، فلا دليل على التدبر به بالحجج العقلية من ظواهر الألفاظ وأمثالها؛ فتبين أن من ادعى الرسوخ في العلم وادعى العلم بتأويل القرآن لا يُصغى إليه أصلاً إلا إذا تعلمه من الرسول ﷺ، وهذا قطعي في باب الأحكام وأما في غير باب الأحكام فكذلك أيضاً.

وكيف كان فطريق العلم بتأويل الكتاب لا يكون إلا بالتعلم من رسول الله ﷺ وأهل بيته المعصومين ﷺ الراسخين في العلم. فعلم التأويل مختص بالله تعالى وبرسوله ﷺ ومن تعلم منه تعليماً وافياً جامعاً، لجميع جوانب علوم القرآن وشعبه ومراميه لا من سمع منه ﷻ شيئاً وغابت عنه أشياء.

### الراسخون في العلم

واضح أن الراسخين الذين يعلمون التأويل كله بناءً على العطف أو بحسب الأدلة المنفصلة الأخرى هم بعض العلماء خاصه، لا كل من له رسوخ في علم التفسير؛ إذ الراسخ في تفسير القرآن في مرحله الدعوه العامه غير الراسخ في علم التأويل، سواء قلنا بصحة إطلاق التأويل على التفسير أم لا؛ فإن هذا القسم من علم القرآن الذي استأثر الله بعلمه دون جميع

ص: ١٢٧

خلقه، غير الذى أفاضه على الناس برهم وفاجرهم.

والظاهر أن مرتبه تأويل المتشابه نفس مرتبه تأويل الكتاب والمرجع فى تعلّم تأويل الكتاب هو نفس المرجع فى تعلّم تأويل الآيات المتشابهه، لا- أن يكون المرجع مفاد المحكمات والظواهر والنصوص. وهذا المرجع هو رسول الله ﷺ الذى هو أفضل الراسخين، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وقد توارث أوصياؤه ﷺ ذلك منه. فلا بد للناس من التعلّم والأخذ من رسول الله ﷺ وأوصيائه الحفظه. إن مكانه علم التأويل بعينها مكانه علم الأحكام فيكون طريق تعلّمهما بالتعب فقط.

ومما ينبغى الالتفات إليه أن تعاليم الرسول ﷺ العامّة للناس ليست على حدّ يشفى الغليل ويغنى الفقير. نعم لقد تعلّم بعض الصحابه منه شيئاً أو أشياء ولكن غاب عنه آلاف ألوف. وليس فيهم من يقدر على استنباط علوم القرآن حلاله وحرامه وأحكامه والجمع بين عناوينه الأوليّة والثانيّة فى جميع الأزمان والأيام إلى يوم القيامة. وليس فيهم من يتفوّه فى إلهيات القرآن والمعارف الربويّة والمعاد. ولا- يخفى على أهل الانصاف موقع علماء التفسير من الصحابه والتابعين وعلماء الفقه، وميزان أفكارهم ومعارفهم؛ فكأنهم لم يُنزل القرآن على ساحتهم! ولم يكن رسول الله ﷺ بين أظهرهم. فمن ادّعى من الناس أنه تعلّم جميع جوانب القرآن وعلومه وتنزيله وتأويله وظهره وبطنه وأحكامه ومعارفه منه ﷺ، إنّما هو مفتر كاذب؛ إلّا أوصياؤه ﷺ فإنهم يتوارثونه كابر عن كابر، وصادق عن صادق وعندهم معاقل العلم وأصوله ومواده.

ص: ١٢٨

قال الإمام الصادق:

نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ. (١)

وقال الإمام في ذيل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾:

فَرَسُولُ اللَّهِ أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ. وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يُعْلَمْهُ تَأْوِيلُهُ، وَأَوْصِيَهُ بِأَوْفَى مَا يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ وَالَّذِينَ لَمْ يَعْلَمُوا تَأْوِيلَهُ، إِذَا قَالَ الْعَالِمُ فِيهِ يَعْلَمُ فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ وَالْقُرْآنُ لَهُ خَاصٌّ وَعَامٌّ وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَهُ. (٢)

وورد في توقيع عن الإمام المهدي:

الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ أَنْ تَقُولُوا: إِنَّا قُدْوَةُ اللَّهِ وَأَيْمُهُ وَخُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجُهُ فِي بِلَادِهِ نَعْرِفُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَنَعْرِفُ تَأْوِيلَ الْكِتَابِ وَفَصْلَ الْخِطَابِ. (٣)

### الروايات المانعة عن التفسير والتأويل

- ١- الكافي، ج ١، ص ٢١٣، ح ١٠؛ بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٩٩ ح ٣٢ (الباب العاشر من أبواب الآيات النازلة فيهم... من كتاب الإمامه).
- ٢- بصائر الدرجات، ص ٢٠٣، ح ٤؛ بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٩٩، ح ٣٣ (الباب العاشر من أبواب الآيات النازلة فيهم... من كتاب الإمامه).
- ٣- تفسير العياشي، ج ١، ص ١٦، ح ١٠؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٩٦، ح ٥٨ (الباب الثامن من أبواب فضله و أحكامه و إعجازه... من كتاب القرآن) وفيه: «إِنَّا قُدْوَةُ وَالْأَيْمَةُ».

ص: ١٢٩

ورد في العيون، عن علي بن الحسين مسنداً عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعه من علماء أهل العراق وخراسان. فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾؟ (١) فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها. فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا:

لا أقول كما قالوا، ولكني أقول: أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة. فقال المأمون: وكيف عني العترة من دون الأئمة؟ فقال له الرضا: إنه لو أراد الأئمة، لكانت أجمعها في الجنة لقول الله عز وجل: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٢)، ثم جمعهم كلهم في الجنة؛ فقال عز وجل: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ (٣) الآية، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لما لغيرهم. فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا: الذين وصيهم الله في كتابه؛ فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٤)، وهم الذين قال رسول الله: ﴿إِنِّي مُخَلَّفٌ

١- فاطر (٣٥)، الآية ٣٢.

٢- فاطر (٣٥)، الآية ٣٢.

٣- فاطر (٣٥)، الآية ٣٣.

٤- الأحزاب (٣٣)، الآية ٣٣.



ص: ١٣٠

فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي. أَلَمْأ وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ فَمَا نَظَرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا، أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ... (١).

فى الرواية الشريفه تصريح بأن هذا الاختصاص والوراثه للكتاب لهم، وهو راجع إلى العلوم المتناسبه لمقام الإمامه والخلافه. وبالحيققة إنه تحد منهم لخلافتهم. وهو برهان لرساله جدّهم الأعظم بالأصالة، وكذلك برهان نير على خلافتهم له بالوراثه. والاستدلال بالآيه إنما هو للإثبات هذا المقام الشامخ لأنفسهم واختصاصهم بمقام تحمّل العلوم الإلهية من الكتاب الكريم. والكتاب فى مرحله الدعوه العامه، نصّ وحجّه لخلافتهم ووراثتهم وهم القيمون على الكتاب والمعلّمون لعلومه التفصيلية التى تقصر عن نيلها ودركها عقول الرجال من مفضلات المعارف الربويّة واليوم الآخر، وتفاصيل الأحكام.

وفى روضه الكافى، عن العده مسنداً عن زيد الشحام قال:

دَخَلَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ، فَقَالَ: يَا قَتَادَةُ أَنْتَ فِىهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ؟

فَقَالَ: هَكَذَا يَزْعُمُونَ.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: بَلَّغْنِي أَنَّكَ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ؟

فَقَالَ لَهُ قَتَادَةُ: نَعَمْ.

١- عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٢٩ ح ١؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٢٠، ح ٢٠ (الباب السابع من أبواب علامات الإمام وصفاته من كتاب الإمامه).

ص: ١٣١

فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: بِعِلْمٍ تُفَسِّرُهُ أَمْ بِجَهْلٍ؟

قَالَ: لَا، بِعِلْمٍ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ: فَإِنْ كُنْتَ تُفَسِّرُهُ بِعِلْمٍ، فَأَنْتَ أَنْتَ وَأَنَا أَسْأَلُكَ... وَيَحِيَّكَ يَا قَتَادَةَ! إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا فَسَّرْتَ الْقُرْآنَ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِكَ، فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَهُ مِنَ الرِّجَالِ، فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ... وَيَحِيَّكَ يَا قَتَادَةَ، إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ. (١)

إِنَّ إنكاره على قتاده في تفسيره القرآن بأنه هالك ومهلك لغيره، إنما هو لأجل تعرّضه لما يختص به الرسول وأوصيائه أي معرفه القرآن كله بجميع مراتبه. ويشهد على ذلك قوله في ذيل الحديث: «إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ». ويشهد عليه أيضاً كلمه التفسير، فإن معرفه القرآن في مرتبه الدعوه العامه ليس تفسيراً وليس فيه كشف القناع؛ بل هو خطاب يحتاج إلى التدبر والتعقل والتبصير والتفهيم. وأنه يوجد دون مرتبه العلوم الخاصه للمخاطبين بالقرآن في مرتبه الدعوه العامه علوم وأنوار بحسب مراتب الأشخاص في الفهم والإيمان والتقوى والطهاره. قال تعالى: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ... (٢). (٣)

١- الكافي، ج ٨، ص ٣١١، ح ٤٨٥؛ بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ٢٣٧، ح ٦ (الباب ٥٩ من أبواب الآيات النازله فيهم من كتاب الإمامه).

٢- لزم (٣٩)، الآية ٢٣.

ص: ١٣٢

وفى العلل، عن أبيه ومحمد بن الحسن مسنداً عن أبي زهير بن شبيب بن أنس، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام... فقال (لأبي حنيفة):

أَنْتَ فَقِيهٌ أَهْلُ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَبِمَا تُفْتِيهِمْ؟ قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ وَشَيْئِهِ نَبِيٍّ عليه السلام. قَالَ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ تَعْرِفُ كِتَابَ اللَّهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَتَعْرِفُ النَّاسِيخَ وَالْمَنْسُوخَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ لَقَدْ ادَّعَيْتَ عِلْماً وَيْلَكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ وَيْلَكَ وَلَا هُوَ إِلَّا عِنْدَ الْخَاصِّ مِنْ ذُرِّيَةِ نَبِيِّنَا عليه السلام مَا وَرَثَكَ اللَّهُ مِنْ كِتَابِهِ حَرْفًا... (١).

ظاهر أن هذا الإنكار الشديد على أبي حنيفة، إنما هو لأجل تصديده لمقام الإفتاء واستقلاله في الاستنباط واستغنائه في علوم القرآن والأحكام والمعارف عنهم عليهم السلام. والانصاف أن استنباط الأحكام من القرآن وما في هذه المرتبة من علومه وحقائقه استقلالاً من دون الرجوع إلى تفسير الأئمة عليهم السلام، خبط واضح وحرام يبين.

وفى الوسائل، عن المحاسن، عن الحسن بن علي بن فضال، عن ثعلبه بن ميمون، عن حماد بن عيسى، عن المعلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في رساله:

١- علل الشرائع، ج ١، ص ٩٠، ح ٥ (الباب ٨١)؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٩٣، ح ١٢ (الباب ٣٤ من أبواب العلم من كتاب العقل والعلم والجهل).

ص: ١٣٣

فَمَا مَا سَأَلْتَ عَنِ الْقُرْآنِ، فَذَلِكَ أَيْضاً مِنْ خَطَرَاتِكَ الْمُتَفَاوِتِ الْمُخْتَلِفَةِ لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ عَلَى مَا ذَكَرْتَ، وَكُلُّ مَا سَمِعْتَ فَمَعْنَاهُ عَلَى غَيْرِ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ. وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ أَمْثَالُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَلِقَوْمٍ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ؛ وَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْرِفُونَهُ. وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَمَا أَشَدَّ إِشْكَالَهُ عَلَيْهِمْ وَأَبْعَدَهُ مِنْ مَذَاهِبِ قُلُوبِهِمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ. وَفِي ذَلِكَ تَحَيَّرَ الْخَلَائِقُ أَجْمَعُونَ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ. وَإِنَّمَا أَرَادَ اللَّهُ بِتَعَمُّيْتِهِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَنْتَهُوا إِلَى بَابِهِ وَصِرَاطِهِ، وَأَنْ يَعْبُدُوهُ وَيَنْتَهُوا فِي قَوْلِهِ إِلَى طَاعَةِ الْقَوَامِ بِكِتَابِهِ، وَالنَّاطِقِينَ عَنْ أَمْرِهِ، وَأَنْ يَسْتَنْبِطُوا مَا احْتَاجُوا إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ عَنْهُمْ لَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ: ﷻ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ (١) ﷻ. فَمَا غَيْرُهُمْ فَلَيْسَ يُعْلَمُ ذَلِكَ أَبَدًا وَلَا يُوجَدُ. وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ وَلِمَاءَ الْأَمْرِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَنْ يَأْتِمِرُونَ عَلَيْهِ وَمَنْ يُبْلَغُونَهُ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ الْوُلِيَّاءَ خَوَاصَّ لِيُقْتَدَى بِهِمْ، فَافْهَمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَإِيَّاكَ وَإِيَّاكَ وَتِلْمَاوَةَ الْقُرْآنِ بِرَأْيِكَ. فَإِنَّ النَّاسَ غَيْرُ مُشْتَرِكِينَ فِي عِلْمِهِ كَاشْتِرَاكِهِمْ فِيَمَا سِوَاهُ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَا قَادِرِينَ عَلَى تَأْوِيلِهِ

ص: ١٣٤

إِلَّا مِنْ حَدِّهِ وَبَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ فَافْهَمُوا إِنَّ شَاءَ اللَّهِ. وَاطْلُبُوا الْأَمْرَ مِنْ مَكَانِهِ تَجِدُوهُ إِنَّ شَاءَ اللَّهِ. (١)

احتجّ بأنه لا يمكن أن يكون المعنى من «الردّ إلى الرسول والولاء» الذين أمر الله بالردّ إليهم؛ أن يكون عامياً. فلو كان الناس ولاه ومراجع لأنفسهم في استنباط العلوم لا يكون معنى لكونهم قرناء لمرجعيه الرسول واستنباطه. ومعلوم أنّ الناس عامّة لا يقدرّون على هذا الاستنباط. بداهه أنّ طريق العلم بهذه المعاني والتفسير والتأويل، ليس طريق دلاله الألفاظ المتعارف ليدلّ عليها الكلام دلاله مطابقيه أو تضمّنيه أو التزاميه، كي تكون الحجّه بين المفسّر وبين الله تعالى هي ظهور الكلام أو نصّه. فإنّ منها ما لا يعلم إلّا من الوحي، مثل تفاصيل الأحكام؛ وما هو من الغيوب مثل الحقائق الخارجيه عن الشهود كتفاصيل عالم الآخرة وتفاصيل القضاء والقدر، والمشيه والإرادته، والبده والختم، وحقيقه العرش والكرسي، والحُجُب واللوح والقلم، وحروف القرآن المقطّعه، وكيفيه إيجاد العوالم وموادّها وأنوارها وساكنيها من الإنس والجنّ، والملائكه والكروبيين والروحانيين إلى ما لا يحصيها إلّا الله تعالى. ومن أخذها وفسرها برأيه ونسب ذلك إلى القرآن فقد كذب وافتري على الله.

١- وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٩٠، ح ٣٨ [٣٣٥٦٩] (الباب ١٣ من أبواب صفات القاضي... من كتاب القضاء)؛ المحاسن، ج ١، ص ٢٦٨، ح ٣٥٦؛ وورد في بعض الأحاديث كما في المحاسن، ج ٢، ص ٣٠٠، ح ٥: (لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنَ الْقُرْآنِ).

ص: ١٣٥

وفى الاحتجاج، مسنداً عن علقمه بن محمد الحضرمي، عن أبي جعفر محمد بن عليّ عن النبيّ ﷺ في حديث قال:

مَعَاشِرَ النَّاسِ تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ وَافْهَمُوا آيَاتِهِ، وَانْظُرُوا إِلَى مُحْكَمَاتِهِ وَلَا تَتَّبِعُوا مُشَابِهَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَوَاجِرَهُ وَلَمَّا يُوضِّحْ لَكُمْ تَفْسِيرَهُ إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ وَمُصَعِّدُهُ إِلَيَّ وَشَائِلٌ بَعْضُهُ (١).

إنّ في هذه الخطبة المباركة تصريح بالتمسك بالقرآن بكلا الوجهين، حيث صرح ﷺ في مقام مخاطبه الكل: «تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ وَافْهَمُوا آيَاتِهِ» وصرح أيضاً في مقام تفسير علومه الخاصه بقوله: «فَوَاللَّهِ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَوَاجِرَهُ...».

وفى بحار الأنوار، عن أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني في كتابه تفسير القرآن مسنداً عن إسماعيل بن جابر قال: سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق ﷺ يقول:

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَخَتَمَ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ فَلَمَّا نَبِيَ بَعْدَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، فَخَتَمَ بِهِ الْكُتُبَ فَلَا كِتَابَ بَعْدَهُ، أَحَلَّ فِيهِ حَلَالًا وَحَرَّمَ حَرَامًا فَحَلَالُهُ حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحَرَامُهُ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِ شَرْعُكُمْ وَخَبْرُ مَنْ قَبْلَكُمْ وَبَعْدُكُمْ. وَجَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَمًا بَاقِيًا فِي أَوْصِيَائِهِ، فَتَرَكَهُمْ النَّاسُ وَهُمْ الشُّهَدَاءُ عَلَى

١- الاحتجاج، ج ١، ص ٦٠؛ بحار الأنوار، ج ٣٧، ص ٢٠٩، ح ٨٦ (الباب ٥٢ من أبواب النصوص الدالة على الخصوص من كتاب تاريخ أمير المؤمنين ﷺ).

ص: ١٣٦

أَهْلَ كُلِّ زَمَانٍ وَعَيَّدَلُوا عَنْهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُمْ وَاتَّبَعُوا غَيْرَهُمْ، ثُمَّ أَخْلَصُوا لَهُمُ الطَّاعَةَ، حَتَّى عَانَدُوا مَنْ أَظْهَرَ وَلَايَةَ وَلَاهِ الْأَمْرِ وَطَلَبَ عُلُومَهُمْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَشِئُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ وَلَمَّا تَرَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ (١)﴾. وَذَلِكَ أَنَّهُمْ صَدَرُوا بِبَعْضِ الْقُرْآنِ بِنِعْضٍ وَاحْتِجُوا بِالْمَنْسُوحِ وَهُمْ يَطُنُّونَ أَنَّهُ النَّاسِخُ وَاحْتِجُوا بِالْمُتَشَابِهِ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ الْمُحْكَمُ وَاحْتِجُوا بِالْخَاصِّ وَهُمْ يَقَعِدُونَ أَنَّهُ الْعَامُّ وَاحْتِجُوا بِأَوَّلِ الْآيَةِ وَتَرَكَوا السَّبَبَ فِي تَأْوِيلِهَا وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى مَا يَفْتَحُ الْكَلَامَ وَإِلَى مَا يَخْتُمُهُ وَلَمْ يَعْرِفُوا مَوَارِدَهُ وَمَصَادِرَهُ، إِذْ لَمْ يَأْخُذُوهُ عَنْ أَهْلِهِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوحِ وَالْخَاصَّ مِنَ الْعَامِّ وَالْمُحْكَمَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ وَالرُّخْصَ مِنَ الْعَزَائِمِ وَالْمَكِّيَّ وَالْمَدَنِيَّ وَأَسْبَابَ التَّنْزِيلِ وَالْمُبْهَمَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي أَلْفَاظِهِ الْمُنْقَطِعَةِ وَالْمُؤَلَّفَةِ وَمَا فِيهِ مِنْ عِلْمِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ وَالْمُبَيِّنِ وَالْعَمِيقِ وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَالْإِبْتِدَاءِ وَالْإِنْتِهَاءِ وَالسُّؤَالَ وَالْجَوَابَ وَالْقَطْعَ وَالْوَصْلَ وَالْمُسْتَشْنَى مِنْهُ وَالْجَارِيَ فِيهِ وَالصَّفْهَ لِمَا قَبْلُ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَا بَعْدَ الْمُؤَكَّدِ مِنْهُ وَالْمُفْصَّلِ، وَعَزَائِمِهِ وَرُخَصِهِ، وَمَوَاضِعِ فَرَائِضِهِ وَأَحْكَامِهِ وَمَعْنَى حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ الْمُلْحِدُونَ، وَالْمَوْصُولِ مِنَ الْأَلْفَاظِ

ص: ١٣٧

وَالْمَحْمُولِ عَلَى مَا قَبْلَهُ وَعَلَى مَا بَعْدَهُ، فَلَيْسَ بِعَالَمٍ بِالْقُرْآنِ وَلَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ... (١).

الرواية الشريفة في مقام الشكوى والتظلم والإنكار من الأئمة على من تكلف مقام تفسير القرآن. وفيها إشعار بأن معنى ضرب القرآن بعضه ببعض إنما هو لجهلهم بطور الاستنباط، إذ المخصّصات والمقتيدات وسائر القرائن التي لا بدّ في التفسير والاستنباط منها، بينها الرسول وأودعها عند أهله. وفيها تصريح بأن التصدي لتفسير القرآن مع عدم معرفه الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمحكم والمتشابه، ضلال وإضلال. وفيها تصريح أيضاً أن الضلال والإضلال من حيث إنهم لم يأخذوا بتفسير القرآن من أهله. وأنّ هذا الضلال والإضلال إنما هو في استنباط الحلال والحرام وتشخيص الفرائض من الرخص وبيان معنى القضاء والقدر الذي هو من أغمض المسائل في العلوم الإلهية ولم يخرج ممّن ورد فيها سالماً إلّا الفقهاء المستضيئون بعلوم آل الرسول، الذين لم يخلطوا بعلومهم شيئاً عن سواهم.

قوله: «وَعَزَائِمِهِ وَرُخَصِهِ، وَمَوَاضِعِ فَرَائِضِهِ وَأَحْكَامِهِ وَمَعْنَى حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ الْمُلْحِدُونَ»؛ إنّ هلاكهم وإحادهم إنما هو من

١- بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣ (الباب ١٢٨ من أبواب فضائل سور القرآن وآياته من كتاب القرآن).



ص: ١٣٨

حيث اقتحامهم تفسير الحلال والحرام واستنباط العلوم مع جهلهم بمدارك الأحكام وينابيع العلوم ومآخذها. وقد بين شرائط خاصه لتفسير العلوم واستنباط الأحكام وصرح أنها تراث رسول الله.

وأنت كما ترى هذه الروايه الشريفه أيضاً، أجنبيّه عن منع التمسك بالقرآن في مرتبه الدعوه العامه. وإن منعها الأكيد خاص باب الاستنباط وشرح العلوم والتطاول على مقامهم العلمى.

فقد تلخص من جميع ما ذكرنا، أن خلافه القرآن والأئمه خلافه اجتماعيه انضماميه لا انفراديه. فالقرآن بمحكماته وظواهره يصرح بوجوب الحج مثلاً ولم يذكر أن الطواف مثلاً أسبوع وفي أى مورد، وغيره من أحكامه، ورسول الله يفسر تلك الأحكام. والقرآن يدل بنصوصه ومحكماته على وجود ولي معصوم مفروض الطاعه ولم يسم أحداً بعينه وفسر رسول الله شأن ذلك الرجل بخصوصه. وصرح بوجود جته عرضها كعرض السماوات والأرض ولم يبين التفاصيل الراجعه إليها، وكذلك صرح بوجود النار والعذاب ولم يفسر مكانها وكيفيه خلقها ومواطنها وموادها، والرسول فسر ذلك كله. وهكذا حال جميع العلوم الخاصه. ولو أردنا إحصاء جميع الروايات المصرحه باختصاص هذه المرتبه من علوم القرآن بالرسول أصالة ولأوصيائه وراثه، لخرجنا عن البحث وفيما ذكرنا كفايه لأولى الأبواب.

تقييم بعض النظريات

ص: ١٣٩

اختلفت الكلمات واضطربت الأقوال في تفسير التأويل؛ منها ما في الميزان، قال:

إنَّ التأويل ليس من المفاهيم التي هي مداليل الألفاظ، بل هو من الأمور الخارجيه العييه. واتَّصاف الآيات بكونها ذات تأويل من قبيل الوصف بحال المتعلّق. (١)

وقال في بيان هذا المعنى:

ويدلّ على ذلك قوله تعالى في قصّه موسى والخضر: ﴿سَأُتْبِئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٢)(٣) وقوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾. (٤)

وقال بعد نقل ما فعله الخضر ﴿وسؤال موسى﴾ والذي تبا به الخضر من التأويل وكذا بعد نقل ما ورد من لفظ التأويل في عدّه مواضع من قصّه يوسف الصديق: ﴿

فقد استعمل التأويل في جميع هذه الموارد من قصّه يوسف ﴿فيما يرجع إليه الرؤيا من الحوادث، وهو الذي كان يراه النائم فيما يناسبه من الصوره والمثال، فنسبه التأويل إلى ذى التأويل نسبه المعنى إلى صورته التي يظهر بها، والحقيقه المتمثله إلى مثالها الذي تتمثل به. كما كان الأمر يجرى هذا المجرى فيما أوردناه من الآيات في قصّه موسى

١- الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٧.

٢- لكهف (١٨)، الآية ٨٢.

٣- الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٥.

٤- الكهف (١٨)، الآية ٧٨.

ص: ١٤٠

والخضر، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ... وَأَحْسِنُ تَأْوِيلًا﴾ (١). □

ومنها ما قال في المنار، بعد نقل الآيات التي ورد فيها لفظ التأويل وبيان معنى التأويل فيها:

فتبين من هذه الآيات، أن لفظ التأويل لم يرد في القرآن إلّا بمعنى الأمر العملي الذي يقع في المال تصديقاً لخبر أو رؤيا أو لعمل غامض يقصد به شيء في المستقبل، فيجب أن تفسر آية آل عمران بذلك. ولا يجوز أن يحمل التأويل فيهما على المعنى الذي اصطلاح عليه قدماء المفسرين؛ وهو جعله بمعنى التفسير كما يقول ابن جرير: القول في تأويل هذه الآية كذا ولا على ما اصطلاح عليه متأخروهم من جعل التأويل عبارة عن نقل الكلام عن وضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، ومثله قول أهل الأصول: التأويل صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل (٣).

يمكن أن يقال في نقد هذه النظريات: إنه قد تقرّر في محلّه أن استعمال اللفظ في مورد لا يدلّ إلّا على كونه من مصاديق المعنى اللغويّ له، أو من الموارد التي استعمل فيها اللفظ بضرب من التجوّز والعناية، فاستظهار

١- لإسراء (١٧)، الآية ٣٥.

٢- الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٦.

٣- تفسير المنار، ج ٣، ص ١٧٤.

ص: ١٤١

معنى فى مورد من موارد إستعمال لفظ التأويل فى الآيات الكريمة لا- يدلّ على كون هذا المعنى هو المراد فى غيره من موارد استعماله.

### بعض التأويلات الباطلة

قلنا إنّ من شؤون المعصومين □ تأويل القرآن، ولا مجال لتجنّب النبى □ وأهل بيته □ والإعراض عنهم لمعرفه تأويله.

وأنّ بعض الفرق فى طىّ القرون الماضيه قامت بتأويل وتوجيه الآيات القرآنيه من دون الالتفات إلى هذه الحقيقه العلميه، فأؤلوا المفاهيم القرآنيه طبق آرائهم ونظرياتهم بدل أن يطبقوها مع القرآن.

إليك بعض التأويلات الباطله مضافاً إلى ما ذكرنا:

أولّ الملّا عبدالرزاق الكاشانى لفظ الحمار فى قوله تعالى: □ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ □ إلى جسم النبى عزير(٢)، ولفظ «الصفاء» و«المروه» إلى قلب الإنسان ونفسه.(٣)

وإنّه يقول إنّ المراد من الغلامين فى قوله تعالى: □ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ □ هو العقل النظرى والعملى وأولّ اليتيم فى الآيه إلى افتراق العقل النظرى والعملى من روح القدس.(٥)

١- البقره (٢)، الآيه ٢٥٩.

٢- تفسير ملّا عبد الرزاق(تفسير ابن عربى)، ج ١، ص ٨٦.

٣- تفسير ملّا عبد الرزاق(تفسير ابن عربى)، ج ١، ص ٦١.

٤- الكهف (١٨)، الآيه ٨٢.

٥- تفسير ملّا عبد الرزاق(تفسير ابن عربى)، ج ١، ص ٤١١.

ص: ١٤٢

وإنَّ المراد من النفس الواحدة في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (١) هي النفس الناطقة الكلّية التي يتشعب منها النفوس الجزئية وأنَّ النفس الحيوانية هي المعنوي بها في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (٢) (٣).

ويقول ابن عربي في تأويل قصّه بنى إسرائيل وعبادتهم للعجل في القرآن، في الفصّ الهارونيه:

كان موسى [لموضوع عباده العجل] أعلم بالأمر من هارون، لأنّه علم ما عبده أصحاب العجل. وما حكم الله بشيء إلاّ وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتّساعه، (فإنّ العارف من يرى الحقّ في كلّ شيء، بل يراه عين كلّ شيء، فكان موسى يُربّي هارون تربيّه علم).

وقال القيصرّي في شرحه:

أي، كان عتب موسى أخاه هارون لأجل إنكاره عبادة العجل، وعدم اتّساع قلبه لذلك. (٤)

يقول ملّا صدرا:

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ (٥) أي: العقول السابقه على الممكنات ﴿فَالْمُدْبِّرَاتِ﴾

١- النساء (٤)، الآية ١.

٢- النساء (٤)، الآية ١.

٣- تفسير ملّا عبد الرزاق (تفسير ابن عربي)، ج ٢، ص ١٣٧.

٤- شرح فصوص الحكم للقيصرّي، ص ١٠٩٦.

٥- النازعات (٧٩)، الآية ٤.

ص: ١٤٣

أمراً (١) □ أى: النفوس المدبّره للأجرام الغالبه؛ فدلّت الآية على هذين النوعين من الموجودات الشريفه. (٢)

وينقل العلامة المجلسي عن المرحوم ميرداماد أنّه قال:

العرش هو الأفلاك... والكرسي هو فلك الثواب.

ثمّ يقول العلامة المجلسي:

ولا يخفى عدم موافقتها لقوانين الشرع ومصطلحات أهله. (٣)

يقول الحاج ملا هادي السبزواري:

إنّ الأفلاك الكلّيه تسعه: الأوّل هو فلك الأفلاك، الثاني فلك الثواب والباقي هم الكرات السبعه المشهوره؛ وأنّ جميع هذه الأفلاك لها حيوه ناطقه.

ويقول في الحاشيه توضيحاً:

لا يوجد تناف بين هذه الأفلاك التسعه التي أثبتّها العقل مع ما ورد في القرآن بأنّ السماوات سبعه، لأنّ المراد من فلك الأطلس (فلك الأفلاك) وفلك الثواب في لسان الشريعه، العرش والكرسي. (٤)

١- النازعات (٧٩)، الآية ٥.

٢- مفاتيح الغيب، ص ٤٤٦.

٣- بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ٥، ذيل الحديث الثاني (الباب الرابع من أبواب كليات أحوال العالم من كتاب السماء والعالم).

٤- شرح المنظومه، ص ٢٦٩.

ص: ١٤٤

٨النسخ

معنى النسخ







ص: ١٤٧

قال في لسان العرب:

النسخ: إبطال الشيء وإقامه آخر مقامه... ابن الأعرابي: النسخ تبديل الشيء من الشيء وهو غيره. ونسخ الآية بالآية: إزاله مثل حكمها. والنسخ: نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو. (١)

إنَّ كلَّ واحد من المعاني المذكورة قد استعمل فيها لفظ النسخ ولا- يهْمنا تحقيق أنَّ ذلك بحسب الوضع أو بضرب من العناية. والظاهر أنَّ الأصل المأخوذ في الموارد المذكورة، هو حيث الإزالة والتغيير والتحويل والتبديل.

قال الله تعالى:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَمْ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (٢)

قوله تعالى: ﴿مِنْ آيَةٍ﴾، أي: من علامه. وهي مطلقه شامله لكلِّ ما

١- لسان العرب، ج ٣، ص ٦١.

٢- البقره (٢)، الآية ١٠٦.

ص: ١٤٨

تصدق عليه العلامة، سواء كانت تشريعيه أو تكوينيه؛ فالتشريعيه مثل الآيه الداله على حكم من الأحكام فتكون حاكيه عن جعله. والتكوينيته مثل ما يدل على وجود الصانع أو على شيء من نعوته وأسمائه جل ثناؤه من الأعيان.

قوله تعالى: ﴿نَأْتِي بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾، أي: نأتي بشيء خير في الحكمه والمصلحه من المنسوخ.

ثم إنه من الممكن بحسب الواقع والثبوت، أن تكون للآيه المنسوخه أمثال ونظائر في عرضها يتساوى بعضها مع البعض الآخر في الحكمه والمصلحه، فله تعالى أن يأتي بواحد من هذه الآيات المتساويه من حيث المصلحه سواء كانت تكوينيه أو تشريعيه، ثم يأتي بواحد أخرى بعد رفع الأولى. والكلام في تخصيص كل منها بزمان دون زمان عين الكلام في اختيار الأمور المترجحه المتساويه. ولا دليل على انحصار المثل في الآيه، بأن يكون الناسخ في طول المنسوخ ومنفرداً؛ فالمعتمد في ذلك هو ظهور الآيه وإطلاقها.

ينبغي الالتفات إلى أن إطلاق النسخ على الآيات بدلي، بمعنى أن الآيات في معرض النسخ دائماً؛ إلا أن هذا الإطلاق في معرض التقيد لأن من آياته لا يجرى عليها النسخ، مثل الأحكام الثابته كوجوب التقوى وحرمة الفجور.

### النسخ في التكوينيات

إن اليهود يعتقدون باستحاله النسخ في الأحكام، كما يعتقدون باستحاله التغيير والتبديل في التكوين وفي شيء من النظام الموجود. وقد ورد

ص: ١٤٩

توبيخهم في القرآن الكريم. قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾. (١).

ورد في العيون، مسنداً عن أبي عمرو محمّد بن عمرو بن عبد العزيز الكجّي قال: حدّثني من سمع الحسن بن محمّد النوفلي يقول: ... قال الرضا:

... ثُمَّ التَفَتَ إِلَى سُلَيْمَانَ. فَقَالَ: أَحَسْبُكَ ضَاهِيَتِ الْيَهُودَ فِي هَذَا الْبَابِ.

قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ؟

قَالَ: قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ (٢)، يَعْنُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَرَّغَ مِنَ الْأَمْرِ فَلَيْسَ يُحْدِثُ شَيْئاً، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا... (٣).

قَالَ سُلَيْمَانُ: لِأَنَّهُ قَدْ فَرَّغَ مِنَ الْأَمْرِ، فَلَيْسَ يَزِيدُ فِيهِ شَيْئاً.

قَالَ الرِّضَا: هَذَا قَوْلُ الْيَهُودِ، فَكَيْفَ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. (٣).

قَالَ سُلَيْمَانُ: إِنَّمَا عَنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ.

قَالَ: أَفْعِيدُ مَا لَا يَفِي بِهِ فَكَيْفَ قَالَ: يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ وَقَالَ

١- المائدة (٥)، الآية ٦٤.

٢- المائدة (٥) آية ٦٤.

٣- غافر (٤٠)، الآية ٦٠.

ص: ١٥٠

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝١﴾ وَقَدْ فَرَّغَ مِنَ الْأَمْرِ؟! فَلَمْ يُحَرِّجْ جَوَاباً. (٢)

إِذْنِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ جَدِيدٍ مِنْ إِحْدَاثٍ بَدِيعٍ لَمْ يَكُنْ، وَإِذْهَابٍ أَمْرٍ قَدْ كَانَ. وَهَكَذَا سَتَّه تَعَالَى فِي جَمِيعٍ مَا يَحِيطُ بِهِ عِلْمُهُ مِنَ الْحَوَادِثِ الْحَكِيمَةِ الْقَيِّمَةِ، فَيَأْتِي بِشَيْءٍ مِنْهَا وَيَذْهَبُ بِآخَرٍ، وَهُوَ تَعَالَى يُعْطِي وَيُمْنَعُ، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُؤْخِذُ وَيَعْفُو، فَقُدْرَتُهُ تَعَالَى الْغَيْرِ مَتَنَاهِيهِ وَمَالِكِيَّتِهِ لَجَمِيعٍ مِنْ سِوَاهُ وَمَا سِوَاهُ، فَعَلَيْهِ؛ يَأْتِي سَبْحَانَهُ بِشَيْءٍ بَعْدَ تَحَقُّقِهِ شَيْئاً آخَرَ، لَعَلَّهُ وَحْكَمُهُ أَرَادَهَا فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُمْنَعَهُ تَعَالَى مَانِعٍ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ الْحَكِيمِ. فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْحُو مَا كَانَ مَكْتُوباً أَوَّلًا وَيُثَبِّتَ مَا لَمْ يَكُنْ مَكْتُوباً بِوَجْهِ أَصْلًا. وَهَذَا الْمَكْتُوبُ الثَّانِي وَهَذَا الْخَلْقُ الْجَدِيدُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الْعِلْمِ الْمَكْنُونِ.

### النسخ والمشيئة الأزلية

إِنْ قُلْتُ: إِنَّ هَذَا التَّبْدِيلَ وَالتَّحْوِيلَ وَالْإِتْيَانَ بِالْمِثْلِ أَوْ الْأَفْضَلِ مِنْهُ بَدَلَ الْمَنْسُوخِ، مُسْتَنْدٌ إِلَى الْمَشِيئَةِ الْأَزْلِيَّةِ فَيَكُونُ الْإِتْيَانُ بِالْمِثْلِ إِظْهَاراً وَإِبْرَازاً لَزَوَالِ الْمَنْسُوخِ وَانْمَحَاةِ بَاقِيهِ أَمَدِهِ، وَيَكُونُ الْإِتْيَانُ بِالنَّاسِخِ إِيجَاداً لِمَا كَانَ ثَابِتاً فِي الْأَزْلِ بِالْمَشِيئَةِ الْأَزْلِيَّةِ.

١- الرعد (١٣)، الآية ٣٩.

٢- عيون اخبار الرضا، ج ١، ص ١٨٢، ح ١ (الباب ١٣)؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ٩٦، ح ٢ (الباب الثالث من أبواب الصفات من كتاب التوحيد).

ص: ١٥١

قلت: فعلى هذا لا يكون النسخ بمعنى التغيير والإزالة والإبطال بل يكون إظهاراً لزوال عين أو حكم، وكذلك لا يكون هناك إتيان شيء لم يكن بل هو إيجاد ما كان ثابتاً في الأزل؛ وهذا عين الالتزام بمقاله اليهود ومبتن على كون مشيئته تعالى بعينها، علمه سبحانه وأنه تعالى شاء كل شيء بالمشيئة الأزلية. ولكن البراهين الإلهية من الآيات والروايات قائمة على استحالة أزلية المشيئة، وأن مشيئته تعالى فعله سبحانه وهو عين تعيين النظام الحكيم بالعلم الحادث، ونسبته إلى علمه تعالى نسبة المتناهي إلى غير المتناهي.

### المعنى الاصطلاحي للنسخ

إن هذا المعنى الذي ذكرناه للنسخ هو المعنى اللغوي والظاهر من الآيه الكريمه؛ وهو شامل للتكويينات والتشريعات. وله معنى اصطلاحى وهو رفع ما هو ثابت فى الشريعة من الأحكام فلا يشمل المجعولات التكوينية ويقابله البداء فى التكوينات.

وحيث إن الدين الذى اختاره الله وارتضاه سبحانه لأنبيائه وأصفياؤه صلوات الله عليهم اجمعين هو الاسلام: [إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١)]، فنسخ حكم فى الشريعة السابقه بشيء من أحكام الشريعة اللاحقه، ليس إلّا كنسخ حكم فى الشريعة الواحده بشيء من تلك الشريعة بعينها.

ص: ١٥٢

ومما ذكرنا يعلم أنه لا إشكال في مقام الثبوت في نسخ حكم في شريعته وإتيان حكم آخر خير منه أو مثله مكانه. والقول بأن النسخ إنما يكون بعد مضي مدّة الامتثال وأما قبله فلا يجوز؛ ليس بصحيح، إذ يمكن أن تكون المصلحه والحكمه في نفس الحكم. وبديهي أنه ليس للفقهاء البحث عن مناسبات الأحكام وعللها وإنما وظيفته الجرى على طبق الظواهر.

هذا في مقام الثبوت، أما في مقام الإثبات فقد تقدّم في الروايات ما يدلّ على وجود النسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى. وسيجيء البحث في أن قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ (١) منسوخ بآيه السيف وهو قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٢) وأما الفرق بين النسخ والتخصيص والتقييد فليطلب من كتب الأصول.

## ١٩البداء

### معنى البداء

١- البقره (٢) آيه ١٠٩ .

٢- التوبه (٩) آيه ٢٩ .

ص: ١٥٣





ص: ١٥٥

(١)

إنّ مسألة البداء من المسائل المهمّة الاعتقاديّة التي قد أبدى العلماء فيها آراء مختلفه وذلك حسب اختلاف مبانيهم الفكريّة، إلّا أنّهم لم يصلوا إلى عمق هذه المسألة والزوايا الخفيّة الموجوده فيها بنحو مطلوب، ولم يتّضح موضع الحقّ في الفكر الشيعيّ في ذلك. سعينا في هذه الصفحات أن نستكشف قليلاً مسألة البداء بواسطه الآيات والأحاديث، لكي تنفتح على الباحثين وطلاب العلم والحقيقه آفاقٌ جديده ومتميزه.

### معرفة البداء

البداء في اللغة بمعنى نشوء الرأي. قال في لسان العرب:

قال الجوهريّ: بدا له في الأمر بداء ممدوده أى نشأ له فيه رأى.

١- هذا البحث مقتطف من كتاب توحيد الإماميه، ص ٣٤٩. ولمزيد من الاطلاع راجع كتاب البداء آيه عظمه الله (للشيخ محمّد باقر علم الهدى).

ص: ١٥٦

إنَّ الله سبحانه وتعالى هو المالك والقادر الأزلي والأبدى كما هو واضح ولا يجب عليه الإيجاد ولا الإبقاء بعد الإيجاد إلّا فيما وعد به. وإنَّ علم الله وقدرته المطلقة لا تُحدّد بهذا النظام الموجود. وهو عالم وقادر ذاتاً على إيجاد الأنظمة غير المحدودة وذلك حسب الأدلّة العقلية وصريح القرآن والحديث. وقدرته ذاتية فهو قادر ذاتاً على إيجاد أىّ فعل، كما أنّه قادر على نقيضه. ولا يصدر فعل من الله من دون أعمال مالكيته وقدرته، وكلّ ما تعلّقت مشيئته به فإنّه يوجد فى الخارج بلاريب، وإنّها فعله وهو عباره عن تعيّن نظام بالعلم. وبما أنّ الله حكيم، فإنّ مشيئته تتعلّق دائماً بالأفعال المؤسسه على الحكمه إلّا أنّه ظاهر أنّ الحكمه فى الفعل لا تكون علّه لإيجاده، لأنّ قدره الله حاكمه عليها. فمشيئته الله سبحانه وتعالى المستنده إلى العلم والقدره والحكمه هى السبب فى انتخاب نظام واحد من بين الأنظمة اللامتناهيه. وبما أنّ الله لا يكون ملزماً فى إيجاد أىّ فعل وتعيين أىّ نظام، فإنّه يقدر أن يمحو ما عيّنه بالعلم والقدره والحكمه سابقاً فى أىّ مرحله من مراحل المشيئته والإرادته والقدر والقضا أو أن يغيّره ويبدّله أو يوجد ما لم يكن أصلاً.

وهذا ما يُعرف بالبدء فى المعارف الإلهية. ومعناه أن يمحو الله المشيئته السابقه بالمشيئته الجديده أو أن يغيّر أجزائها. وبتعبير آخر: أن يبدّل ما أَراده سابقاً بالمشيئته الجديده ويوجد ما لم تتعلّق به المشيئته سابقاً. يقول الله سبحانه

ص: ١٥٧

وتعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝١﴾.

إنّ متعلّق المحو في الآيه المباركه هو ما تعلّقت به المشيّه. فالله سبحانه وتعالى يمحو ما يشاء من المشيّه الأوليه. وبعبارة أخرى: إنّ المراد من المحو، إمحاء ما ثبت في مرتبه المشيّه والإرادة والقضاء والقدر. وإنّ المراد من الإثبات هو أن يثبت الله سبحانه وتعالى بالمشيّه الجديده ما لم يكن موجوداً ولم تتعلّق به المشيّه ولم يكتب في الصحيفة النوريّه الإلهيه.

يقول الإمام الصادق ١ في تفسير الآيه المباركه :

وَهَلْ يُمَحَى إِلَّا مَا كَانَ ثَابِتًا، وَهَلْ يُثَبَّتُ إِلَّا مَا لَمْ يَكُنْ؟! (٢)

وقال الإمام السجاد ٢:

لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، لَحَدَّثْتُكُمْ بِمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَقُلْتُ: أَيُّهُ آيَةٌ؟

قَالَ: قَوْلُ اللَّهِ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝٣﴾.

### أهميته البداء

إنّ لازم قدره الإلهيه المطلقه هو البداء الناشئ عن العلم والمعرفه. فلا- يمكن الاعتقاد بعلم الله وقدرته وإنكار مسأله البداء. وفي الحقيقه إنّ إنكار البداء الذي هو علامه قدره الله ومالكيتته هو عين إنكار قدرته ومالكيتته. فمعرفة البداء والوصول إلى عمقه وأسراره والتسليم له، عباده ذاتيه لا تصل إليها عباده. ولأجل أهميته البداء وموقعيته في باب معرفه الله سبحانه

١- رعد (١٣) آيه ٣٩.

٢- الكافي، ج ١، ص ١٤٧، ح ٢؛ الفصول المهمه، ج ١، ص ٢١٩، ح ١٨٩.

٣- تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢١٥، ح ٥٩؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ١١٨، ح ٥٢ (الباب الثالث من أبواب الصفات من كتاب التوحيد).

ص: ١٥٨

وتعالى أمر جميع الأنبياء بالإذعان والاعتراف به.

عن زراره عن أحدهما:

مَا عُبِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ، مِثْلَ الْبَدَاءِ. (١)

وقال الإمام الصادق:

مَا عُظِّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، بِمِثْلِ الْبَدَاءِ. (٢)

وقال الإمام الرضا:

مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ، إِلَّا بِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ وَأَنْ يُقَرَّ لَهُ بِالْبَدَاءِ. (٣)

### المشيئة الأزلية في منظار الوحي

يمكن أن يقال: إنَّ المراد من الآيه المتقدمه والروايات المذكوره ذيلها أنَّ أعيان وحوادث العالم ثابتة بالمشيئة الإلهية التي هي عين علمه في أم الكتاب، وأنها متعلّقه بمشيئة الله، ولا- يُعقل تصوّر التغيير والتبديل فيما تعلّق به العلم والمشيئة والإرادة والقدر والقضاء الإلهي، لأنَّ الله سبحانه وتعالى قد فرغ من تنظيم العالم وتديره بالمشيئة الأزلية فقدّر الأحكام والخصوصيات المقتضية لكلّ شيء طبقاً للمشيئة الثابتة الأزلية، بنحو لا يمكن التغيير والتبديل فيه. فجميع حوادث العالم تجري بيد الله سبحانه

١- التوحيد، ص ٣٣٢، ح ١؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٠٧، ح ١٩ (الباب الثالث من أبواب الصفات من كتاب التوحيد).

٢- التوحيد، ص ٣٣٣، ح ٢؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٠٧، ح ٢٠.

٣- التوحيد، ص ٣٣٣، ح ٦؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٠٨، ح ٢٥.

ص: ١٥٩

وتعالى طبقاً للأحكام الثابتة فى أم الكتاب؛ فىأت بالليل بعد النهار والموت بعد الحياه ولذا يمكن القول بأن الله يمحو الحكم الثانى بالحكم الأول.

يرد على هذا الاستنباط من الآيه الإشكالات التالية:

١. إن هذه النظرية مبتتية على أن فاعليته الله بالعنايه والرضا فى حين أن فاعليته حسب الأدلة الموجوده بالإيداء والإنشاء عن القدره والمالكيه.

٢. بناءً على هذه النظرية تكون مشيئه الله عين علمه وكل شىء متعلق بالمشيئه الأزليه، وهذه النظرية تخالف البراهين والأدلة القائمه على استحاله أزليه مشيئته سبحانه وتعالى .

٣. ثبت فى محله أن مشيئه الله سبحانه وتعالى فعله وهو عبارته عن تعيين النظام فى العلم الحادث (١) الذى علمه الله لأنبيائه وملائكته. وإن نسبه هذا النظام إلى علم الله، نسبه المتناهى إلى غير المتناهى؛ فعلم الله لا يكون بمعنى المشيئه التى هى عبارته عن تدبير وتنظيم أمور الخلقه . وإن تطبيق العلم على المشيئه، يوجب الالتزام بقدم العالم وأزليه فعل الله ونفى مالكيته وقدرته بالنسبه إلى الفعل وتركه؛ وهذا مخالف لضروره الأديان.

٤. على هذا يكون تفسير الآيه بالحوادث المكتوبه فى الأزل، لا بالمحو والإثبات الحقيقى الذى هو الانمحاء المستند إلى المشيئه الازليه. بعبارته أخرى: يكون المحو والإثبات بمعنى انقضاء الأجل المكتوب وإظهار أمر ثابت ومكتوب فى الأزل وهذا مخالف لما ورد فى الحديث عن

١- المراد من العلم الحادث هو العلم الذى تعيين إجمالاً- أو تفصيلاً وتعلق رأى الله سبحانه وتعالى به؛ مثل المشيئه، الإراده، القدر والقضاء.

ص: ١٤٠

الإمام الصادق عليه السلام فإنه قال:

وَهَلْ يُمَحَى إِلَّا مَا كَانَ ثَابِتًا وَهَلْ يُثَبَّتُ إِلَّا مَا لَمْ يَكُنْ (١).

فالصحيح أن يقال: إن المحو هنا بمعناه الحقيقي وأن متعلقه هو الأمر الموجود الثابت الأعم من الحوادث والأعيان، وهكذا يكون متعلق الإثبات، الشيء الذي لم يكن موجوداً بأي وجه من الوجوه؛ لا أنه إظهار لما كان ثابتاً في الأزل. ويستفاد من الأحاديث أيضاً أن من موارد المحو والإثبات تقديم الأمر المؤخر وتأخير الأمر المقدم.

وليس من لوازم قبول المشيئة الحادثة أن لا يكون للعالم تقدير ونظم ثابت عند الله سبحانه وتعالى وأن يكون نظام الخليقة موجوداً بالصدفه بغير تدبير وتقدير؛ لأن جميع ما خلقه الله تعالى تعين بالمشيئة الحادثة وهو متعلق بإرادة الله العليم الحكيم وتقديره. ولذا تكون مشيئة الله فعله المتعين، والمشيئة الجديدة هي تعيين الخلق الجديد أو محو الأمر الثابت في المشيئة السابقة، وإن كلا المشيئتين الحادثتان تتوافق مع حكمه والمصلحة وتتطابق مع العلم الحادث الذي أفاضه الله على أنبيائه وملائكته.

### البداء في المعارف الإلهية والبشرية

يظهر مما ذكرنا الفرق بين المعارف الإلهية وحصيله العلوم البشرية في الموارد التالية:

١. علم الله تبارك وتعالى غير متناه بحسب الكتاب والسنة؛ أي أنه لا يجوز تحديد علم الله وتعيينه بالنظام الواحد الأحسن.

١- الكافي، ج ١، ص ١٤٧، ح ٢؛ الفصول المهمة، ج ١، ص ٢١٩، ح ١٨٩.

ص: ١٦١

٢. إن قدره الله تعالى ومالكه على النظام الموجود، الذي تعلقت به مشيئته وعلى الأنظمة الغير متناهية ونقايسها وأضدادها، على نحو سواء .

٣. يحدث النظام الواحد بمشيئته الله وإرادته وتقديره، وهي أفعال الله التي تحصل من دون توهم التحديد والتعین في علمه.

٤. إن جميع ما سوى الله حقيقةً حادث ومسبق بالعدم المحض من المنظار الديني؛ والأزليته منحصره بالله تعالى بمعنى أنه لم يكن مع الله شيء لا- في مرتبه الألوهية ولا- في مرتبه المخلوقات ثم خلق الموجودات والمخلوقات. وما يُعَيِّن النظام الموجود عن الأنظمة اللامتناهية في علم الله سبحانه وتعالى وقدرته، تعلّق مشيئته به.

٥. إن الله سبحانه وتعالى لم يفرغ من الخلق في منظار الأديان الإلهية ولذا يستطيع أن يغيّر ويبدّل فيه. مع أنه من منظار اليهود ومن يحدو حدوهم كلّ ما يجرى في النظام الموجود من أفعال الله، يكون على طبق المشيئة الأزلية وعلم الله تعالى محدود به ولا يمكن التغير والتبدل فيه.

### العلم منشأ البداء الإلهي

يقول الإمام الصادق:

إِنَّ لِلَّهِ عِلْمَيْنِ: عِلْمٌ مَكْنُونٌ مَخْزُونٌ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ؛ مِنْ ذَلِكَ يَكُونُ الْبَدَاءُ. وَعِلْمٌ عَلَمُهُ مَلَائِكَتُهُ وَرُسُلُهُ وَأَنْبِيَاءُهُ، فَنَحْنُ نَعْلَمُهُ. (١)

١- الكافي، ج ١، ص ١٤٧، ح ٨؛ بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٦٣، ح ٩ (الباب ١٢ من أبواب علومهم) من كتاب الإمامه).



ص: ١٦٢

و ورد عنه ﷺ إنه قال:

مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَبْدُو لَهُ فِي شَيْءٍ الْيَوْمَ، لَمْ يَعْلَمْهُ أَمْسٍ فَابْرَأُوا مِنْهُ. (١)

هذان الحديثان يشيران إلى أن البداء يكون بالعلم والمعرفة فقط. وكما ذكرنا فإن البداء هو تبديل التقدير الأول بالتقدير الثاني بالله سبحانه وتعالى. وبما أن التقديرين يكونان بمشيئة الله وإرادته وقضائه وقدره وكلها أفعاله الحسنه التي صدرت عن علم وحكمه لا يمكن القبول بأن البداء وقع عن جهل الله بالموضوع. ولذا ما نسب إلى الشيعة من أنهم يعتقدون بالبداء الصادر عن الجهل، تهمه واضحة لا أساس لها.

البداء بالمعنى الذي أخذ به الشيعة من الأئمة الهداء ﷺ من مفاخر علوم القرآن وآية لمجد الله وعظمته وقدرته ومالكيته. وكل عقيدة غير هذه تنتهي إلى مغلولته يد الله وأنه قد فرغ من الأمر.

## آثار الاعتقاد بالبداء

### اشاره

في ظل الاعتقاد بالبداء تظهر مكانه الدعاء ويظهر أن صله الأرحام والصدقه وزياره سيد الشهداء ﷺ وغيرها من الأعمال الصالحه يرد القضاء، والأعمال السيئه تسلترم السخط الإلهي ومضاعفته؛ نشير إلى بعض الروايات باختصار.

### الف ( الأحاديث الداله على أن الدعاء يبذل القضاء

١- كمال الدين، ج ١، ص ٧٠؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ١١١، ح ٣٠ (الباب الثالث من أبواب الصفات من كتاب التوحيد).

ص: ١٦٣

قال الإمام الصادق:

الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: [\[١\]](#) إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ [\(١\)](#) ادْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَقُلْ إِنَّ الْأَمْرَ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ. [\(٢\)](#)

وورد عن الإمام موسى بن جعفر:

إِنَّ الدُّعَاءَ يَزُودُ مَا قُدِّرَ وَمَا لَمْ يُقَدَّرْ. قَالَ: قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ، هَذَا مَا قُدِّرَ قَدْ عَرَفْنَاهُ أَفَرَأَيْتَ مَا لَمْ يُقَدَّرْ؟ قَالَ: حَتَّى لَا يُقَدَّرَ. [\(٣\)](#)

وقال الإمام الصادق:

الدُّعَاءُ يَزُودُ الْقَضَاءَ، بَعْدَ مَا أُبْرِمَ إِبْرَامًا. [\(٤\)](#)

تدل هذه الأحاديث على فضل الدعاء وتحث العباد على الارتباط بالله والمسألة منه. فالدعاء إقرار عملي للداعي بالفقر والإحتياج إلى الله تعالى،

١- غافر (٤٠)، الآية ٦١.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٦٧، ح ٧؛ وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٤، ح ٤ [٨٦٠٢] (الباب الأول من أبواب الدعاء من كتاب الصلاة).

٣- بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢٩٧، ح ٢٧ (الباب ١٦ من أبواب الدعاء من كتاب القرآن)؛ مستدرک الوسائل و مستنبط المسائل، ج ٥، ص ١٦٥، ح ١٣ [٥٥٧١] (الباب الثاني من أبواب الدعاء من كتاب الصلاة).

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٧٠، ح ٧؛ بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢٩٥، ح ٢٣ (الباب ١٦ من أبواب الدعاء من كتاب القرآن).

ص: ١٦٤

لأنَّ الله هو المنجى من المصائب والابتلائات؛ وإنَّ رفع المصائب وقضاء الحوائج ونزول البركات يكون بيد قدرته؛ وإنَّه هو المكرم عباده المؤمنين بأنواع الكرامات؛ فلا يوجد مفرّ للموحد من التوسل إلى الله بواسطة الدعاء والتضرع إليه والإيمان بأنَّه عالم بحوائج الجميع وقادر على قضائها.

إنَّ الشيطان أحياناً يلقى الناس في وادى اليأس من الله وذلك بواسطة الشبهات، وللخلاص من هذه المصيدة، يجب الإيمان بأنَّ الله لا يقطع أمل الراجين به، ولا يردّ دعوه عبده، وإنَّه لم يفرغ من الأمر، وإنَّه أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١.٢١)

### (ب) الأحاديث الدالة على وقوع البداء بواسطة صلة الأرحام وإعطاء الصدقة وزياره سيد الشهداء

قال الإمام الصادق ع عن النبي ع:

صَلِّهِ الرَّحِمَ، تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ. (٢)

وقال الإمام الباقر ع:

بِرُّ وَالصَّدَقَةُ يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْعُمْرِ، وَيَدْفَعَانِ تِسْعِينَ مِائَةً

١- البقرة (٢) الآية ١٨٦.

٢- معاني الأخبار، ص ٢٦٤، ح ١؛ بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٩٤، ح ٢٤ (الباب الثالث من أبواب آداب العشرة بين ذوى الأرحام و... من كتاب العشرة).

ص: ١٦٥

السوء (١).

وقال الإمام الصادق:

يَا عَبْدَ الْمَلِكِ! لَا تَدَعِ زِيَارَةَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَامُرْ أَصْحَابَكَ بِذَلِكَ يَمُدُّ اللَّهُ فِي عُمْرِكَ، وَيَزِيدُ اللَّهُ فِي رِزْقِكَ وَيُحْيِيكَ اللَّهُ سَعِيداً  
وَلَا تَمُوتُ إِلَّا سَعِيداً وَيَكْتُبُكَ سَعِيداً. (٢)

١- الكافي، ج ٤، ص ٢، ح ٢؛ بحار الأنوار ج ٩٣، ص ١١٩، ح ١٧ (الباب ١٤ من أبواب الصدقة من كتاب الزكاة و الصدقة).

٢- كامل الزيارات، ص ١٥١، ح ٥؛ بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٤٧، ح ١٢ (الباب السادس من أبواب فضل زياره سيد شباب أهل الجنة... من كتاب المزار).

ص: ١٦٦

• اتحدى القرآن وإعجازه

ضروره الإعجاز





ص: ١٦٩

فى سياق بيان قصص الأنبياء وأحوالهم مع أممهم يثبت القرآن الكريم أنَّ أولئك الأنبياء كانت لهم الآيات والمعجزات التى جاؤوا بها بإذن الله تعالى لإثبات النبوة وصدق رسالته.

وفى الحقيقة أنَّ النبوة والرسالة ثبوتاً، هى النور والتعليم والهداية الإلهية، فهى خارجة عن وجود النبى أو الرسول، يفيضها الله على أنبيائه ورسله على نحو خرق العادة خلافاً لقانون الطبيعة، ولا فرق فى ذلك بين أن يكون النبى أمياً أو لا .

وواضح أنَّ التعليم الإلهى للأنبياء تعليم خاص، وسنخه وحقيقته مابين لجميع العلوم الفلسفية والعرفانية والتجريبية. هذا النوع من التعليم فعل الله وهو حجة ذاتاً.

وأما إثباتاً بما أنَّ حقيقة النبوة والرسالة محجوبة عن عامة الناس ولا



ص: ١٧٠

يمكن وجدانها عبر الحواس والعقول، فإن الأمم انكروا دعوه أنبيائهم واستهزؤوا بها. ولأجل إيمان الناس بهذه الدعوه ويصدقوها يلزم على الأنبياء أن يملكوا دلائل وآيات مفيدة للعلم بنبوتهم .

إن معرفه صدق الأنبياء وكذبهم والإيمان بهم ممكن بواسطة العقل، والأنبياء لأجل صدق ادعائهم قاموا بالتحدى بما جاؤوا به من الآيات والمعجز الواضحه .

ومما يجب الالتفات إليه أنه لا- نحتاج إلى المعجزه للتصديق بتعاليم الأنبياء، لأن الإيمان بقسم من هذه التعاليم جائز شريطه معرفه صدق النبوه ومعرفه الأنبياء، وبالقسم الآخر نحتاج إلى العلم والتذكر والتدبر، وبقسم ثالث كالأحكام الفرعيه يكفى التعبد.

إن السرّ فى كاشفيه المعجزه عن مقام رساله والنبوه إثباتاً، هو أن رساله والنبوه كسائر المعجز، أمر غير عادى خارج عن نظام الأسباب والمسببات لا- يمكن تصديقها بصرف الادعاء. وظهور المعجزه بواسطه النبى فى مقام التحدى هو طريق ووسيله تصديق لإعجاز آخر يُسمى بالنبوه والرساله، يشارك نفس المعجزه فى كونه خارقاً لنظام الأسباب، لأن حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد .

غايه الأمر أن المعجزه الأولى أى نفس إعطاء نور النبوه والرساله خارجه عن إدراك الناس وفهمهم فعلاً وآثاراً، وأما المعجزه الثانيه التى استدلت بها الأنبياء لإثبات ادعائهم، لها آثار محسوسه يمكن للناس أن يفهموها. فلو جاء مدعى النبوه والرساله بمعجزه وآيه واضحه، فإنه لا

ص: ١٧١

يبقى سبب إنكار النبوة والرسالة، بالأخص إذا كان في مقام التحدى .

ومن العجيب أن معجزه نبينا الأ-عظم ليست كمعاجز الأنبياء السابقين، بل هي عين الرسالة والوحي الإلهي. فالقرآن الذى قرأه جبريل على النبي هو عين مصداق الرسالة ومعجزه واقعاً.

ليس القرآن حجة وبرهان لإثبات رساله أخرى بل هو حجة وبرهان لإثبات نفسه؛ فهو علم ونور وحجة بالذات لنفسه لا يحتاج إلى غيره من المعاجز. وقد تحدى الموافق والمخالف من الجن والإنس بأنه كلام الله وأنه نازل من عنده ووصفهم بالعجز عن الإتيان بمثله.

### إعجاز القرآن

قال الله تعالى:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾؛ (١)

و﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (٢).

١- البقرة (٢)، الآيتان ٢٣ ٢٤.

٢- الإسراء (١٧)، الآية ٨٨.

ص: ١٧٢

لا يخفى على الباحثين والمتعلمين أنَّ هاهنا مقامان: مقام العجز عن الإتيان بمثل القرآن، ومقام المعرفة والعلم بأنَّ القرآن حقٌّ لا ريب فيه وأنَّه يَنبُت وبصائر، وشفاء ورحمة، وبرهان من الله ونور مبین؛ ولا يجوز الخلط بين المقامين، إذ مقام معرفه حقائقته مختصٌّ بمن تَرَبَّيَ واهتدى، واستنار بأنواره.

فلا بدَّ لمن أراد معرفه القرآن أن يعرفه حقَّ المعرفة وأن لا يكابر عقله ولا يعاند فطرته، وأن يهتدى بهُدى الفطره الضروريه، ويجتنب عن المنكرات الضروريه والفطريه، فمن خالف عقله ولم يهتد بما أودعه الله فيه من الهُدى فهو من الصمِّ البكم الذين لا يعقلون، فليس من عجز عن الإتيان بمثل القرآن عارفاً وعالماً بأنواره وتجلياته. وأنَّ من يدعى التحدى والتعجيز على نحو خارق للعاده وناقض للطبيع، لا بدَّ من تعميم دعواه وتحديه، إذ ليس هو فى مقام تحدى الأشخاص، بل هو فى مقام تحدى المجتمع البشرى والمبارزه والمغالبه بينه وبين المجتمع، لا الأفراد والأشخاص. فلو غلب القرآن فرداً من الأفراد أو عدّه منهم ولم يغلب الكلّ فليس بغالب. بداهه أنَّ عجز المجتمع بمجموعه، دليل قطعى على عجز كلِّ فرد وفرد، فملاك الأمر هو عجزهم وخذلانهم سواء علموا أنَّه من عند الله وأنَّه نورٌ وهُدى للعالمين أم لا.

فالدهرية والمعتله الذين ينكرون الصانع والتوحيد والعقل والعلم، أشدَّ عجزاً عن الإتيان بمثل هذه المعارف الإلهيه والحقائق النوريه من المبدأ والتوحيد وأسماء الله تعالى وصفاته وكمالاته ونعوته، والعوالم الأخرويه السرمديه من الجنه والنار وسكانهما وما يرجع إليه عاقبه أمر المؤمنين والملحدين.

ص: ١٧٣

ودونهم في العجز والخذلان، أهل الكتاب وغيرهم من الأمم الذين أُلحدوا في طريق عرفانه تعالى بعد نداء القرآن بهذه المعارف العالیه وبعد تنوّر أهل العالم بهذا النور المبين.

وأما الأئمة الاسلامیه؛ فمن كان عارفاً بعظمتها يعلم أنّهم ما بلغوا من المجد والكمال إلّا في ظلّ تربيته القرآن، وأنّهم خطوا خطوات سامیه في هذا المجال؛ فهم شهداء الحقّ على أنّ الرسول ﷺ قد أتى بهذا النور القاهر، والبرهان الساطع الذي تحيّرت فيه العقول والألباب.

ومن هذه الأئمة أيضاً من قد اشتبه عليه الأمر وتوهم أنّ القرآن المبين ومعارفه من نسخ تصوّرات اليونانيين ولم يعرف أفق أنوار القرآن ومعارفه، ومباينته لما قاله المتصوّفون والمتفلسفون. (١)

فتبيّن ممّا ذكرنا أنّ الحقّ هو تعميم مورد التحدي والتعجيز، لكلّ من كان مكلفاً من العرب والعجم، والخواصّ والعوامّ، والجنّ والإنس، والحاضر عصر النزول والغائب عنه، لا فصحاء العرب خاصّه، ولا العرب خاصّه، ولا الخواصّ فقط، ولا الإنس خاصّه.

### وجه التحدي والإعجاز

يظهر ممّا ذكرنا في مورد التحدي والتعجيز وجه التحدي أيضاً، فإنّه إذا كان مورد التحدي عامّاً للإنس والجنّ أجمعين، لا فصحاء العرب وبلغاءهم فقط؛ يظهر أنّ وجه التحدي والتعجيز أيضاً ليس هو الفصاحة والبلاغة

١- لمزيد من الاطلاع راجع كتاب أبواب الهدى (لميرزا مهدي الإصفهاني)، ص ٢٣٥ ٢٨١.

ص: ١٧٤

خاصه، سواء كان التعجيز بمجموع القرآن أو بأعضاه.

فالقول بأن وجه التحدى هو الفصاحه، باطل رأساً لا شاهد عليه. وسرّ هذا القول ليس إلّا أن القائل به لما رأى أن مرتبه فصاحه القرآن وبلاغته فوق طاقه الفصحاء والبلغاء، وخارق للعادة، حمل أدله التحدى والتعجيز على ذلك. ولكن بالتوجه إلى مقام رساله أو القرآن، يعلم أن التحدى والتعجيز بالفصاحه لأمثال امرئ القيس، تحقير لمقام رساله القرآن الكريم، فإن امرئ القيس ونظراءه، أنزل قَدراً من أن يريد الله تعالى تعجيزهم وتحديهم بالقرآن. وليس هذا هو شأن خاتم الأنبياء المصلح الوحيد فى المجتمع البشرى؛ هذا أولاً.

ثانياً: إن الإعجاز لا يتم إلّا بتعجيز الكل فى جميع الشؤون فلو لم يعجز الكل فلا يكون إعجازاً على الإطلاق، بل يكون إعجازاً للعرب فى مسأله الفصاحه والبلاغه؛ فكيف يكون تعجيزهم دليلاً وحجّه على سائر الملل والأمم؟! وعليه لا يمكن الاستناد إلى عجز العرب لمعرفه إعجاز القرآن ولا يمكن عجزهم دليل على إعجازه.

ثالثاً: لو كانت الفصاحه والبلاغه وجهاً لتحدى القرآن، فلانزومه أن يكون كلام الله من سنخ كلامهم، وفصاحته أيضاً من سنخ فصاحتهم، وأدله الباب من الآيات والروايات تتأبى عن ذلك، إذ مفادها أن الله تعالى ليس كمثله شىء من جميع الوجوه (١)، وأن كلامه تعالى لا يشابه كلام البشر؛

١- لمزيد من الاطلاع من هذه الآيات والروايات راجع إلى كتاب ميزان المطالب، (لميرزا جواد الطهرانى)، ص ٣٣ ٤٢.

ص: ١٧٥

لا أن يكون كلامه تعالى أعلى من كلام مخلوقاته على وجه التشكيك والإختلاف في الضعف والشدة، والإعجاز بهذا النحو. بل أن كلامه تعالى لا يقاس أصلاً بكلام غيره، كما أن ذاته لا يقاس بشيء من مخلوقاته. (١)

نعم، لا إشكال في القول بفصاحه القرآن بالمعنى اللغوي وبلاغته؛ فإن الفصاحة في اللغة، الإبانة والخلوص والظهور والتكلم بالعربيته.

قال في لسان العرب:

فَصِيحُ الْأَعْجَمِيِّ بِالضَّمِّ فَصَاحَةٌ: تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَفُهِمَ عَنْهُ... وَالْفَصِيحُ فِي اللَّغَةِ: الْمُنْطَلِقُ اللَّسَانِ فِي الْقَوْلِ، الَّذِي يَعْرِفُ جَيِّدَ الْكَلَامِ مِنْ رَدِيئِهِ... وَأَفْصَحُ حَتِّ الشَّأْ وَالنَّاقَةِ: خَلَصَ لِبَنِيهِمَا... وَأَفْصَحُ الصُّبْحُ: بَدَأَ ضَوْؤُهُ وَاسْتَبَانَ. وَكُلُّ مَا وَضَحَ، فَقَدْ أَفْصَحَ. وَكُلُّ وَاضِحٍ: مُفْصِحٌ. (٢)

وفيه أيضاً:

وَالْبَلَاغَةُ: الْفَصَاحَةُ. وَالْبَلُغُ وَالْبَلِغُ: الْبَلِيغُ مِنَ الرِّجَالِ. وَرَجُلٌ بَلِيغٌ وَبَلُغٌ وَبَلِغٌ، حَسَنُ الْكَلَامِ: فَصِيحُهُ يَبْلُغُ بِعِبَارِهِ لِسَانَهُ كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ. (٣)

فلا كلام في بلوغ فصاحه القرآن وبلاغته حد الإعجاز التام بالمعنى اللغوي.

١- لمزيد من الاطلاع راجع: رساله في وجه إعجاز كلام الله المجيد في كتاب رسائل شناخت قرآن (لميرزا مهدي الإصفهاني)، ص ١٧٧ ١٨٤.

٢- لسان العرب، ج ٢، ص ٥٤٤.

٣- لسان العرب، ج ٨، ص ٤٢٠.

ص: ١٧٦

وأما وجه تحدّي القرآن وإعجازه، فالواجب استنباطه من لسان الكتاب والسنة وتاريخ نزول القرآن وما عارض به النبي ﷺ المكابرين والمعاندين. (١)

### نماذج تاريخية من تأثير القرآن

ورد في السيرة النبوية لابن هشام:

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سنّ فيهم، وقد حضر الموسم. فقال لهم: يا معشر قريش، إنّه قد حضر هذا الموسم وإنّ وفود العرب ستقدّم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضاً، ويردّ قولكم بعضه بعضاً.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقلّ به. قال: بل أنتم فقولوا، أسمع.

قالوا: نقول: كاهن. قال: لا والله، ما هو بكاهن. لقد رأينا الكهّان؛ فما هو بزمزمه الكاهن ولا سجعه.

قالوا: فنقول: مجنون. قال: ما هو بمجنون. لقد رأينا الجنون وعرفناه؛ فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.

قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر. لقد عرفنا الشعر كلّهُ؛ رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه؛ فما هو بالشعر.

١- . لمزيد من الاطلاع راجع: رساله رسائل القرآن والفرقان في كتاب رسائل شناخت قرآن (لميرزا مهدي الإصفهاني).

ص: ١٧٧

قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر. لقد رأينا السحار وسحرهم؛ فما هو بنفثهم ولا عقدهم.

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوه. وإن أصله لعذق. وإن فرعه لجناه... وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته.

فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس، حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره. فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا \* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا \* وَبَنِينَ شُهُودًا \* وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا \* ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ \* كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ (١). (٢)

ورد في تفسير القمّي، ذيل الآية:

فإنها نزلت في الوليد بن المغيرة. وكان شيخاً كبيراً مجرباً من دُهاه العرب. وكان من المستهزئين برسول الله ﷺ. وكان رسول الله ﷺ يقعد في الحجره ويقرأ القرآن. فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة فقالوا: يا أبا عبد شمس ما هذا الذي يقول محمد؟ أشعر هو

١- المدثر (٧٤)، الآيات ١١ ١٦.

٢- السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٧٠.



ص: ١٧٨

أم كهانه أم خطب؟ فقال: دعوني أسمع كلامه. فدنا من رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أنشدني من شعرك.

قال: ما هو شعر ولكنّه كلام الله الذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه. فقال: اتل عليّ منه شيئاً.

فقرأ رسول الله ﷺ حم السجده، فلما بلغ قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ (١) يا محمد أعنى قريشاً «فقل» لهم؛ ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَهُ مِثْلَ صَاعِقِهِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (٢) قال: فاقشعرّ الوليد وقامت كلّ شعره في رأسه ولحيته. ومرّ إلى بيته ولم يرجع إلى قريش من ذلك.

فمشوا إلى أبي جهل فقالوا: يا أبا الحكم إنّ أبا عبد شمس صبا إلى دين محمد. أما تراه لم يرجع إلينا؟

فغدا أبو جهل إلى الوليد فقال له: يا عمّ نكست رؤوسنا وفضحتنا، وأشمت بنا عدونا، وصبوت إلى دين محمد.

فقال: ما صبوت إلى دينه، ولكنّي سمعت منه كلاماً صعباً تقشعرّ منه الجلود!

فقال له أبو جهل: أخطب هو؟ قال: لا، إنّ الخطب كلام متّصل. وهذا كلام منثور ولا يشبه بعضه بعضاً.

قال: أفشعر هو؟ قال: لا، أما إنّّي قد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها، ورملةا ورجزها وما هو بشعر.

١- فضّلت (٤١)، الآية ١٣.

٢- فضّلت (٤١)، الآية ١٣.

ص: ١٧٩

قال: فما هو؟ قال: دعني أفكر فيه، فلما كان من الغد؛ قالوا: يا أبا عبد شمس ما تقول فيما قلناه؟ قال: قولوا: هو سحر فإنه أخذ بقلوب الناس، فأنزل الله على رسوله في ذلك: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (١). ﴿٢﴾

وفي بحار الأنوار، عن علي بن إبراهيم بن هاشم أنه قال:

قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس في موسم من مواسم العرب وهما من الخزرج وكان بين الأوس والخزرج، حرب قد بقوا فيها دهرًا طويلًا وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بعث، وكانت للأوس على الخزرج.

فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمره رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقًا لعتبه بن ربيعة. فنزل عليه فقال له: إنه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناك نطلب الحلف عليهم.

فقال له عتبه: بعدت دارنا من داركم، ولنا شغل لا نتفرغ لشيء. قال: وما شغلكم وأنتم في حرملك وأمنكم؟

قال: له عتبه خرج فينا رجل يدعى أنه رسول الله سفه أحلامنا،

١- المذثر (٧٤)، الآية ١١.

٢- تفسير القمّي، ج ٢، ص ٣٩٣؛ بحار الأنوار، ج ٩، ص ٢٤٤، ح ١٤٨ (الباب الأول من كتاب الاحتجاج).

ص: ١٨٠

وسب آلهتنا، وأفسد شبّابنا، وفزق جماعتنا. فقال له أسعد: من هو منكم؟

قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً، وأعظمنا بيتاً. وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم: النضير وقريظه وقينقاع، أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجرة بالمدينة لئقتلنكم به يا معشر العرب. فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟

قال: جالس في الحجر، وإنهم لا يخرجون من شعبهم إلّا في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمه فإنّه ساحر يسحر بكلامه وكان هذا في وقت محاصره بني هاشم في الشعب.

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لا بد لي أن أطوف بالبيت؟ قال: ضع في أذنيك القطن.

فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه بالقطن. فطاف بالبيت ورسول الله ﷺ جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازاه. فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهد مني. (١) أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا أتعرفه حتّى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟

١- في نسخه: ما أحد أجهد مني.

ص: ١٨١

ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول الله ﷺ: أنعم صباحاً. فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليه وقال: قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا. تحية أهل الجنة: السلام عليكم.

فقال له أسعد: إن عهدك بهذا لقریب. إلى ما تدعو يا محمد؟

قال: إلى شهادته أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، وأدعوكم إلى

أن لا تُشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملأٍ نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاؤكم به لعلكم تعقلون ولما تقرّبوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لما نكّل نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاؤكم به لعلكم تذكرون (١). ﷻ

فلما سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلا الله. وأنتك رسول الله... فلما قرب أسيد منهم قال: يا أبا أمامه يقول لك خالك: لا تأتينا في نادينا، ولا تفسد شباننا واحذر الأوس على نفسك. فقال مصعب: أو تجلس فنعرض عليك أمراً، فإن أحببته دخلت فيه وإن كرهته نحينا عنك ما تكره. فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر؟

١- الأنعام (٦)، الآيتان ١٥١ ١٥٢.

ص: ١٨٢

قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين، ونشهد الشهادتين، ونصلّي ركعتين، فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر، ثم خرج وعصر ثوبه ثم قال: اعرض عليّ، فعرض عليه شهادته أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله فقالها ثم صلّى ركعتين... (١).

### إِعْجَازُ الْقُرْآنِ فِي عُلُومِهِ وَمَعَارِفِهِ

إنّ بعض المعاندين رمى القرآن بأنّه أساطير الأولين وادّعى أنّ رسول الله ﷺ تقوّله واختلقه من نفسه. قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ (٢)

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ (٣)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ \* وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾؛ (٤)

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ \*

- ١- بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٨، ح ٥ (الباب الخامس من أبواب احواله ﷺ من البعثه إلى نزول المدينه من كتاب تاريخ نبينا ﷺ)؛ إعلام الوري بأعلام الهدى، ص ٥٥.
- ٢- النحل (١٦)، الآية ٢٤.
- ٣- الأنفال (٨)، الآية ٣١.
- ٤- الفرقان (٢٥)، الآيتان ٤ ٥.

ص: ١٨٣

وَلَمَّا يَقُولُ مَا تَذْكُرُونَ \* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ \* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (١). □

فرمى القرآن بأنه إفك أو أساطير الأولين أو أنه قول شاعر مجنون أو قول كاهن، وأمثال ذلك؛ وكذلك رمى رسول الله ﷺ بأنه مسحور أو مجنون، كله راجع إلى مفاد القرآن ودعوته ومقاصده لا فصاحته وبلاغته. وكذلك إنكار وحدانيته الله واتخاذ الشريك له واستبعاد المعاد الجسماني وسائر معانده المشركين ولجأهم يرجع إلى علوم القرآن ومعارفه.

قال الله تعالى:

□ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ \* أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ □ (٢)

و □ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ □ (٣).

فتبين مما ذكرنا أن المكابرين والمعارضين للقرآن إنما رموه واعترضوا عليه لأجل مقاصده ومواعظه وهداياته.

فإن قيل: ما هو المحذور من تحدى القرآن بالفصاحه والبلاغه المصطلحه المستحدثه ؟

١- حاقه (٦٩)، الآيتان ٤٠ ٤٧.

٢- ص (٣٨)، الآيتان ٤ ٥.

٣- يس (٣٦)، الآيتان ٧٨ ٧٩.

ص: ١٨٤

قلت: الكلام في التحدي بالمعنى المصطلح، يقع تارة بالنظر إلى مقام الإثبات وتارة بالنظر إلى مقام الثبوت؛ وأما الجبهة الأولى فقد قدمنا شرطاً من الكلام فيه وأنه لا- شاهد ولا- دليل عليه بحسب الكتاب والسنة. وأما بحسب الواقع والثبوت، فبديهي أن المهم عقد البحث في أنه هل يمكن أن تكون الفصاحة والبلاغة بالمعنى المصطلح وجهاً للتحدي أم لا؟

فنقول: الفصاحة والبلاغة والتحدي بهما لخصوص فصحاء العرب أو لجميع الناس مما لا فائده فيه؛ فإن الشؤون الراجعة إلى مقام النبوة ومنزله السفاره والخلافه، هي إصلاح المجتمع البشري وتطهيرهم من القذارات، وتعديلهم عن الانحرافات، وسوقهم وهدايتهم إلى الكمالات الراقية؛ فلا محاله يكون إعجازه من جنس ما بعث لأجله.

فإن قيل: فأى مانع من أن لا يكون التعجيز الذي مرجعه إلى التعجيز بالعلم والقدره الخارقين للعاده والطبيعه من جنس الشؤون الراجعة إلى مقام الرساله، فإن إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وقلب العصا ثعباناً، وشق البحر وأمثالها، ليس من سنخ ما بعث الرسول لأجله، وإنما هي آيات وبراهين لإثبات النبوة.

قلت: نعم، إلما أن الفصاحة والبلاغة المصطلحه لا- تقاس بآيات الأنبياء وبراهينهم؛ لأن الإعجاز لا بد أن يكون خارقاً للعاده والطبيعه ومبائناً ذاتاً وسنخاً لسنخ أفعال البشر، والفصاحة والبلاغة لهما حدود مقدوره للبشر والحد الأعلى منهما خارج عن قدره البشر، ومع ذلك من سنخ ما يكون تحت قدره البشر، وقد صرح بذلك من قال بأن وجه التحدي هو الفصاحة

ص: ١٨٥

والبلاغه. فالمقاييسه بين الفصاحه وإحياء الموتى وغيره من آيات الأنبياء ممّا لا وجه له. فإنّ إحياء الموتى وسائر براهين الأنبياء ليس أمراً قابلاً للتشكيك، بأن يكون قسماً منه فوق طاقه البشر وقسماً منه مقدور له، بل هي حقيقه واحده مختصّه به تعالى ومن أفعاله جلّ شأنه، وأفعاله تعالى لا كيف لها ولا يمكن تعقلها وتصوّرها وتوهمها. وهكذا فصاحه القرآن، فإنّه وإن لم يُتحدّ بها ولكنّها فوق فصاحه البشر وخارقه لها، لا بمعنى كونها أعلى درجات الفصاحه المصطلحه، وإنّما هي كما مرّ ليست من نفس السنخ، فهي فعل من أفعال الله التي ليس لها مثيل.

إن قلت: روايه ابن السكيت عن أبي الحسن الرضا ؑ دأله على أن الإعجاز في القرآن إنّما هو بالفصاحه.

ففي الكافي، عن الحسين بن محمّد، عن أحمد بن محمد السيارى، عن أبي يعقوب البغدادى قال: قال ابن السكيت لأبي الحسن ؑ: لَمَّا بَعَثَ اللهُ مُوسَى بنَ عِمْرَانَ بالعِصَا ويده البيضاء وآله السحر؟ وبعث عيسى بآله الطب؟ وبعث محمداً ؑ وعلى جميع الأنبياء بالكلام والخطب؟ فقال أبو الحسن ؑ:

إِنَّ اللَّهَ لَمَّا بَعَثَ مُوسَى ؑ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ السَّحَرُ، فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وُسْعِهِمْ مِثْلَهُ، وَمَا أَبْطَلَ بِهِ سِحْرَهُمْ، وَأَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ. وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ عِيسَى ؑ فِي وَقْتٍ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهِ الزَّمَانَاتُ وَاحْتِيَاجُ النَّاسِ إِلَى الطَّبِّ فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ مِثْلَهُ، وَبِمَا أَحْيَا لَهُمُ الْمَوْتَى،



ص: ١٨٦

وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأُثْبِتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ. وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ فِي وَقْتٍ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ الْخُطْبَ وَالْكَلَامَ وَأُظْنَتْهُ قَالَ: الشُّعْرَ فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ مَوَاعِظِهِ وَحِكْمِهِ مَا أَبْطَلَ بِهِ قَوْلَهُمْ وَأُثْبِتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ... (١).

قلت: كلما، فإن الرواية الشريفة تبحث عن سننه الله تعالى وصنعه الحكيم في آيات الأنبياء وتذكر أن الله تعالى اختار لكل من أنبيائه براهين وآيات متناسبة مع زمانهم. وليست فيها دلالة على أن برهان موسى من سنخ السحر، وبرهان عيسى من سنخ الطبابة، وبرهان نبينا ﷺ من سنخ الكلام البشري، وأن ما جاء به موسى هو الطرف الأعلى من السحر، وكذلك ما جاء به عيسى هو الطرف الأعلى من الطبابة، وما جاء به رسول الله هو الطرف الأعلى من الفصاحة المصطلحه.

وفي الحديث الشريف نصّ على أن رسول الله ﷺ جاء من عند الله بالمواعظ والحكم، وبما أبطل به قولهم. وليس فيه أن إعجاز الكلام بالفصاحة والبلاغه المصطلحه، بل إن في عدوله ﷺ من لفظ «الكلام» إلى قوله: «مَوَاعِظُهُ وَحِكْمُهُ» دلالة على أن كلامه مواعظ وحكم.

### القرآن كلام الله

اتّضح من جميع ما ذكرنا أنه لا دليل على أن وجه التحدى هو الفصاحة والبلاغه

١- الكافي، ج ١، ص ٢٤، ح ٢٠؛ بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٢١٠، ح ١٥ (الباب الأول من أبواب معجزاته ﷺ من كتاب تاريخ نبينا ﷺ).

ص: ١٨٧

المصطلحه. وعُلمَ أنَّ جنس الإعجاز بعد الفراغ عن كونه خارقاً للعادة والطبيعه، لا بدَّ أن يكون مбайناً لأفعال البشر. فإنَّ الإعجاز فعل الله تعالى وهو خارج عن السنن الطبيعيه مستنداً إلى مشيئته جلَّ ثناؤه. والآيات والأخبار تصرّح بأنَّ القرآن كلام الله سبحانه. قال تعالى:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ (١)

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (٢)

ورد في التوحيد عن سالم سألت أبا عبد الله ع عن القرآن، فقال:

هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَقَوْلُ اللَّهِ وَكِتَابُ اللَّهِ وَوَحْيُ اللَّهِ وَتَنْزِيلُهُ... (٣)

وفيه، عن أحمد بن زياد مسنداً عن الحسين بن خالد قال: قلت للرضا علي بن موسى ع: يا ابن رسول الله أخبرني عن القرآن أخلق أو مخلوق؟ فقال:

لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (٤)

١- لبقره (٢)، الآية ٧٥.

٢- التوبه (٩)، الآية ٦.

٣- التوحيد، ص ٢٢٤، ح ٣ (الباب ٣٠)؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١١٧، ح ٣.

٤- التوحيد، ص ٢٢٣، ح ١ (الباب ٣٠)؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١١٧، ح ١ (الباب ١٤ من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

ص: ١٨٨

وفيه أيضاً، عن جعفر بن محمد بن مسرور مسنداً عن الريان بن الصلت قال: قلت للرضا: ما تقول في القرآن؟ فقال:

كَلَامُ اللَّهِ لَا تَتَجَاوَزُوهُ، وَلَا تَطْلُبُوا الْهُدَى فِي غَيْرِهِ فَتَضِلُّوا. (١)

وفيه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني قال: كتب علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا إلى بعض شيعته ببغداد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. عَصِيَ مَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، فَإِنْ يَفْعَلْ فَقَدْ أَعْظَمَ بِهَا نِعْمَةً وَإِنْ لَا يَفْعَلْ فَهِيَ الْهَلَكَةُ، نَحْنُ نَرَى أَنَّ الْجِدَالَ فِي الْقُرْآنِ بِدْعَةٌ، اشْتَرَكَ فِيهَا السَّائِلُ وَالْمُجِيبُ. فَيَتَعَاطَى السَّائِلُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَيَتَكَلَّفُ الْمُجِيبُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ. وَلَيْسَ الْخَالِقُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، لَا تَجْعَلْ لَهُ اسْمًا مِنْ عِنْدِكَ فَتَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ. جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٣)(٢). □

وفيه أيضاً، عن الحسين بن إبراهيم مسنداً عن سليمان بن جعفر الجعفري قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر: يا ابن رسول الله ما تقول في القرآن فقد اختلف فيه من قبلنا؟ فقال قوم إنه مخلوق. وقال قوم: إنه غير مخلوق. فقال: □

١- التوحيد، ص ٢٢٣، ح ٢؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١١٧، ح ٢.

٢- الأنبياء (٢١)، الآية ٤٩.

٣- التوحيد، ص ٢٢٤، ح ٤؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١١٨، ح ٤.

ص: ١٨٩

أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ فِي ذَلِكَ مَا يَقُولُونَ: وَلَكِنِّي أَقُولُ: إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ. (١)

الذي يظهر من التاريخ وكلمات الأعلام، أنه شاع بين العامة مسألة قدم القرآن وحدوثه وكونه خالقاً أو مخلوقاً. واشتدّ الخصام والتنازع وكفر بعضهم بعضاً ورفع الأمر إلى خلفاء الوقت وانجرّ الأمر إلى الضرب والقتل والتوهين. وأئمة أهل البيت ؑ وقعوا في مخمصه هذه الخرافة وفي خلال كلماتهم صرّحوا بمحض الحقّ مراعاة للتقيّه.

ورد في الاحتجاج، عن صفوان بن يحيى أنه قال: سألتني أبوقرّة المحدث صاحب شبرمه أن أدخله إلى أبي الحسن الرضا ؑ فاستأذنته فأذن له، فدخل فسأله عن أشياء من الحلال والحرام والفرائض والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال له: ... فما تقول في الكتب؟ فقال أبو الحسن ؑ:

التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ وَالْفُرْقَانُ وَكُلُّ كِتَابٍ أَنْزَلَ كَانَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، أَنْزَلَهُ لِلْعَالَمِينَ نُوراً وَهُدًى، وَهِيَ كُلُّهَا مُحَدَّثَةٌ وَهِيَ غَيْرُ اللَّهِ، حَيْثُ يَقُولُ ؑ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا (٢). (٣)

وَقَالَ: ؑ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٣). واللّٰهُ أَحَدٌ الْكُتُبُ كُلُّهَا الَّتِي أَنْزَلَهَا.

فَقَالَ أَبُو قُرَّةَ: فَهَلْ تَفَنَّى؟

١- التوحيد، ص ٢٢٤، ح ٥؛ بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١١٨، ح ٥.

٢- طه (٢٠)، الآية ١١٣.

٣- الأنبياء (٢١)، الآية ٢.

ص: ١٩٠

فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَيَّا سَوَى اللَّهِ فَإِنَّ وَمَا سَوَى اللَّهِ فَعَلَّ اللَّهُ، وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ فَعَلَّ اللَّهُ؛ أَلَمْ تَسْمَعْ النَّاسَ يَقُولُونَ: رَبُّ الْقُرْآنِ. وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا رَبِّ، هَذَا فُلَانٌ وَهُوَ أَعْرَفُ بِهِ مِنْهُ قَدْ أَظْمَأْتُ نَهَارَهُ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَهُ، فَشَفَعْنِي فِيهِ. وَكَذَلِكَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ كُلُّهَا مُحَدَّثَةٌ مَرْبُوبَةٌ. أَحَدُهَا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، هُدًى لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهَا لَمْ يَزَلْ مَعَهُ فَقَدْ أَظْهَرَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَوَّلٍ قَدِيمٍ وَلَا وَاحِدٍ، وَأَنَّ الْكَلَامَ لَمْ يَزَلْ مَعَهُ وَلَيْسَ لَهُ بَدْءٌ وَلَيْسَ بِإِلَهٍ. (١)

فهذه التصريحات منه إبطال لما تقولوا من قدم القرآن أو أنه خالق أو غير مخلوق.

فظهر ممّا ذكرنا من الآيات والروايات أن القرآن كلام الله، نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين. وأن جسده هذه الحروف والكلمات والجمل، وروحه الحقائق والعلوم التي دلّ عليها القرآن، وليس النازل على الرسول المعاني فقط. وليست الألفاظ والكلمات من الرسول، ولا يمكن لقريحه البشر، أن تأتي بمثل القرآن كي يلزم ما استشكلوا من أن قريحه الإنسان، أمر عادي فكيف يعتمد ويستند إليه كلام خارق للعادة، ومن أن دلاله الألفاظ على المعاني بالوضع وهو أمر اعتباري؛ فكيف يعقل

١- الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٠٥؛ بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٣٤٤، ح ٥ (الباب ١٩ من أبواب احتجاجات أمير المؤمنين من كتاب الاحتجاج).

ص: ١٩١

أن يكون الإعجاز معلولاً للأمر الوضعي الاعتباري. فالإشكال والجواب الذي تكلفوه لا موضوع له أساساً، إذ القرآن كلام إلهي وفعل الله سبحانه، وفعل الله سبحانه نفس الإعجاز، وإن الإعجاز يتحقق من دون وساطة العلة والأسباب العادية بلا كيف ولا تعقل ولا تصوّر ولا توهم.

وأما دلالته تلك الكلمات والجمل على العلوم والحقائق، فقد تقدّم أن للقرآن مراتب وأن مرتبته النازلة هي مرتبه دعوه العامّة التي يكون مخاطبها جميع الناس. وبعبارة أخرى؛ مرتبه الدعوه العامّة تكون الظواهر والنصوص التي احتجّ الله بها على خلقه ودعاهم إلى دينه وتوحيده وطاعته، وحذّره من أخذه ونقمته وبأسه، وبشّره بمثوبته ورضوانه. ولها مراتب خاصّة أيضاً يختصّ بها الحجج والرسول لا غيرهم. ولا بدّ لغيرهم من التعلّم منهم. والحمد لله ربّ العالمين. وصلى الله على نبينا محمّد وآله الطاهرين.

ص: ١٩٢

الفهارس

فهرس الآيات الكريره







ص: ١٩٥

الآية البقره (٢) الصفحة

٢٤٢٣ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا... ١٧١

٩٩ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ... ٥٧

١٧٥ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ... ١٨٧

١٣٦ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا... ١٤٧

١٣٩ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ... ١٥٢

١٤٣ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا... ٤٠

١٥١ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ... ٨٨

١٥٨ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ... ٤٩، ٥٥

١٧٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ... ٥٧

١٨٦ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ... ١٦٤

١٨٩ وَأَتُوا الْبَيْتَ مِنْ أَبْوَابِهَا... ١٠٤

٢٣٧ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ... ٦١

٢٥٩ وَأَنْظِرْ إِلَى حِمَارِكَ ١٤١

آل عمران (٣)

٤ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ... ٥٠

٧ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ... ٦٧، ٧١، ٧٠، ١١٣، ١١٤، ١٣١

١٦٤ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ... ٨٨

ص: ١٩٦

النساء (٤)

١ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا... ١٤٢

٤١ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ... ٤١

٥٩ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ... ١٠٣

٨٣ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى... ١٠، ١٣٣

١٧٤ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ... ٢٩، ٩٩

المائدة (٥)

١٣ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ... ١٠٤، ١٣٦

٤٨ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا... ٣٠

٦٤ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ... ١٤٩

الأنعام (٦)

٣٨ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ... ٩١

١٠٣ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ... ٧٩، ٨٠

١١٤ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا... ٥٧

١٥١ ١٥٢ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ... ١٨١

الأعراف (٧)

٥٣ ٥٢ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ... ٥٩، ١١٩

١٨٨ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثَرْتَ... ٦٢

١٩٦ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ... ٥٨

الأنفال (٨)

٣١ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا... ١٨٢

ص: ١٩٧

التوبه (٩)

٦ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ... ١٨٧

٢٩ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .. ١٤١

١١٩ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ... ١٠٣

يونس (١٠)

٣٧ ٣٩ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى ... ٥٣، ٥٩، ١١٩

٥٧ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ ... ٩٩

هود (١١)

١ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ... ٥٣، ٥٨

الرعد (١٣)

٢٣ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... ٤٠

٣٩ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ... ٢٠، ١٣٩، ١٥٦

النحل (١٤)

٢٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رُبُّكُمْ ... ١٨٢

٤٤ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ... ٨٨

٨٤ رُبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ... ٨٨

الاسراء (١٧)

٩ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي ... ٢٥

٨٨ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ ... ١٧١

١٠٥ ١٠٦ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ... ٥٠

٢٣٥ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ ... ١٣٩

ص: ١٩٨

الكهف (١٨)

٧٨ سَأْتُبْنُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا... ١٣٩

٨٢ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا... ١٣٩

مريم (١٩)

٢٠ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ... ٦١

طه (٢٠)

١٥ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى... ٧٨

الأنبياء (٢١)

٢ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ... ١٨٩

١٤٩ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ... ١٨٨

الفرقان (٢٥)

١ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ... ٢٩، ٥٠

٥٤ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا... ١٨٢

السجده (٣٢)

١٢١ الم \* نَزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ... ٥٤

٣٢ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ... ١٢٤

الأحزاب (٣٣)

٣٣ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ... ١٢٩

فاطر (٣٥)

٣٢ ٣٣ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا... ١٢٩





ص: ١٩٩

يس (٣٦)

١٢١ يس \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٥٩

١٢ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ... ٦١

٧٨ ٧٩ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ... ١٨٣

ص (٣٨)

٥٤ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ... ١٨٣

٣٩ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ لِيُكَفِّرَ عَنْكَ مَظَاهِرَ إِثْمِكَ وَيُذَكِّرَ لِيَذَّبُوا آيَاتِهِ ... ٢٥

الزمر (٣٩)

١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ... ٥٨

١٢٣ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ... ١٣١

١١ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ... ١٢٤

غافر (٤٠)

٤٠ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ... ١٦٣

٦٠ أَدْعُونِي أَجْجِبْ لَكُمْ ... ١٤٩

فصلت (٤١)

٢٦ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ ... ٣٤

٥١ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ... ٦٢

الزخرف (٤٣)

٤١ حم \* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ... ٥٤

محمّد (٤٧)

٢٤ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ... ٩٩

ص: ٢٠٠

الفتح (٤٨)

١٨ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ... ٩٤

النجم (٥٣)

١١ ١٢ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ... ٧٩

١٨ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ... ٧٩

القمر (٥٤)

٤٨ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ... ٦٢

الواقعه (٥٦)

٧٧ ٨٠ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ... ٥٤، ٦٠، ٦١

الحشر (٥٩)

٢١ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ ... ٥٧، ٢٥

الجمعه (٦٢)

٢ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا ... ٨٩

المنافقون (٦٣)

٤ وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبَٰعْثُكَ أَجْسَامُهُمْ ... ١٠٨

الحاقه (٦٩)

٤٠ ٤٧ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ... ١٨٢

المزمل (٧٣)

٥ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ... ٩٠

المدثر (٧٤)

١٦١١ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً... ١٧٧، ١٧٩

ص: ٢٠١

القيامة (٧٥)

١٦ ١٩ لَاتُحَرِّكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ... ٤٥، ٨٨

٢٣ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ... ٧٩

النازعات (٧٩)

٤ فَالسَّابِقَاتِ سَبِقًا... ١٤٢

القدر (٩٧)

١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِ الْقَدْرِ ٥٥

ص: ٢٠٢

فهرس الروايات الشريفه

ص: ٢٠٣

الإمام العسكري □ أتدرون من المتمسك ... ١٠٠

الإمام الصادق □ أنت فقيه أهل العراق؟ قال نعم ٤٣، ١٣٢

الإمام الصادق □ إن القرآن زاجر، وآمر، يأمر ... ٧١

الإمام الصادق □ إن القرآن مُحكم ومُشابه، ... ٧٠

الإمام الكاظم □ إن الدعاء يرد ما قُدر وما لم يُقدّر ٢١

الإمام الصادق □ إن الله تبارك وتعالى بعث مُحَمَّدًا ... ١٠٣، ١٣٥

رسول الله □ إن الله عز وجل جعل كتابي ... ٣٠

الإمام الصادق □ إن الله علم نبيه □، التنزيل ... ١٢٢

الإمام الباقر □ إن رسول الله □ أفضل الراسخين ... ١٢١

الإمام الصادق □ إن فيكم من يُقاتل على تأويل ... ١٢٢

الإمام الصادق □ إن للقرآن تأويلاً فمنه ما قد جاء ... ١٢٠

الإمام الصادق □ إن لله علمين علم مكنون مخزون ... ١٦١

الإمام الهادي □ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. عَصَمَنَا اللَّهُ ... ١٨٨

الإمام الباقر □ بُرِّ والصَّدَقَةُ يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ ... ١٦٤

الإمام الرضا □ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ وَالْفُرْقَانُ ... ١٨٩

أمير المؤمنين □ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تُطْفَأُ ١٥

أمير المؤمنين □ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ لِسَعَةِ رَحْمَتِهِ ٣٧

الإمام الرضا □ ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى سُلَيْمَانَ ... ١٤٩

ص: ٢٠٤

الإمام الصادق □ الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ الَّتِي ... ١٦٣

الإمام الصادق □ الدُّعَاءُ يَرُدُّ الْقَضَاءَ بَعْدَ مَا أُبْرِمَ إِبْرَامًا ١٦٣

الإمام السجاد □ فَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ ٧٣

الإمام الصادق □ فَإِذَا التَّبَسَّتْ عَلَيْكُمُ الْفِتْنُ ... ٢٦، ٤١

أمير المؤمنين □ فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا □ بِالْحَقِّ؛ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ ٢٩

الإمام الصادق □ فَرَسُولُ اللَّهِ □ أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ ... ١٢٨

أمير المؤمنين □ فَوَ اللَّهِ لَهُوَ مُبَيَّنٌّ لَكُمْ نُورًا وَاحِدًا ١٧

الإمام الصادق □ قَالَ: الْفُرْقَانُ هُوَ كُلُّ أَمْرٍ مُحْكَمٍ ... ٥٠

الإمام الرضا □ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَا آمَنَ بِي مَنْ فَسَّرَ ... ٩٧

الإمام الصادق □ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ ... ٦٩

الإمام الصادق □ الْقُرْآنُ جُمْلَةُ الْكِتَابِ وَالْفُرْقَانُ الْمُحْكَمُ ٥٠

الإمام الرضا □ لَا أَقُولُ كَمَا قَالُوا، وَلَكِنِّي ... ١٢٩

الإمام الرضا □ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُنْزِلْهُ لِرَمَانٍ ... ٢٨

رسول الله □ لِأَنَّهُ مُتَفَرِّقُ الْآيَاتِ .... ٥١

الإمام الصادق □ مَا عَظَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمِثْلِ الْبَدَاءِ ١٥٨

أمير المؤمنين □ مَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ □ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ ١٢٠

الإمام الصادق □ مَعَاشِرَ النَّاسِ تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ ... ٧٢، ١٣٥

الإمام الصادق □ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَبْدُو لَهُ ... ٢١

الإمام الصادق □ نَزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ... ٦٣

الإمام الصادق □ وَمَنْ فَسَّرَ [بِرَأْيِهِ] آيَةً ... ٩٨



الإمام السجاد ؑ وَوَحِيّاً أَنْزَلَتْهُ عَلَى نَبِيِّكَ ... ٥٧

فهرس مصادر التقيق

ص: ٢٠٥

القرآن.

نهج البلاغة.

الصحيفة السجادية.

التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكريؑ.

١. ابن أبي جمهور، محمد بن زين الدين (ت ٩٠١ق). عوالي اللثالي العزيزية في الأحاديث الديتية. تحقيق: مجتبى عراقى. قم: منشورات دار سيد الشهداء للنشر. الطبعة الأولى: ١٤٠٥ق.

٢. ابن الفارس، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ق). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. قم: منشورات مكتب الإعلام الاسلامى. الطبعة الأولى: ١٤٠٤ ق.

٣. ابن عربى، محمد بن على (ت ٦٣٨ق). الفتوحات المكية. بيروت: منشورات دار الصادر.

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ق). لسان العرب. بيروت: منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الثالثة: ١٤١٤ ق.

٥. الإصفهانى، ميرزا مهدى (ت ١٣٦٥ق). أبواب الهدى. تحقيق: حسين مفيد. طهران: منشورات زنبق. الطبعة الأولى: ١٣٨٧ش.

ص: ٢٠٦

٦. الإصفهاني، ميرزا مهدي (ت ١٣٦٥ق). رسائل شناخت قرآن. تحقيق: حسين مفيد. طهران: منشورات منير. الطبعة الأولى: ١٣٨٨ش.
٧. البحراني، السيد هاشم (ت ١١٠٧ق). البرهان في تفسير القرآن. قم: منشورات قسم الدراسات الاسلاميه مؤسسه البعثه. الطبعة الأولى: ١٣٧٤ش.
٨. البرقي، أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٨٠ق). المحاسن. قم: منشورات دارالكتب الاسلاميه. الطبعة الثانيه: ١٣٧١ق.
٩. الجصيص، أحمد بن علي (القرن الرابع). أحكام القرآن. تحقيق: محمد صادق القمحاوي. بيروت: منشورات دار إحياء التراث العربي. ١٤٠٥ق.
١٠. الجوهرى، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨ق). الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربيّه). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. القاهرة: منشورات دار العلم للملايين. الطبعة الأولى: ١٣٧٦ق.
١١. الحز العاملي، محمد بن حسن (ت ١١٠٤ق). تفصيل وسائل الشيعه إلى تحصيل مسائل الشريعه. قم: مؤسسه آل البيت لإحياء التراث. الطبعة الأولى: ١٤٠٩ق.
١٢. الحسيني الزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ق). تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: منشورات دارالفكر. الطبعة الأولى: ١٤١٤ق.
١٣. راغب الإصفهاني، حسين بن محمد (ت ٤٠١ق). مفردات ألفاظ القرآن. بيروت دمشق: منشورات دار القلم الدار الشاميه. الطبعة الأولى: ١٤١٢ق.
١٤. الرباني الميانجي، حسين (ت ١٣٧٤ش). معاد از دیدگاه قرآن، حديث وعقل. قم: منشورات علميه. الطبعة الثانيه: ١٤١٤ق.

ص: ٢٠٧

١٥. رشيد رضا، محمد (ت ١٣٥٤ ق). تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار. بيروت: منشورات دارالمعرفة. الطبعة الثانية.
١٦. الزمخشري، محمود (ت ٥٣٨ ق). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: منشورات دار الكتاب العربي. الطبعة الثالثة: ١٤٠٧ ق.
١٧. السبزواري، ملاهادي (ت ١٢٨٩ ق). شرح المنظومه. طهران: منشورات ناب. الطبعة الأولى: ١٣٩٦ ش.
١٨. السيدان، السيد جعفر. النسخة أم الإتحاد والعيتة أم التباين؟ ترجمه: ماجد الكاظمي. مشهد: منشورات پارسيران. الطبعة الأولى.
١٩. السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١ ق). الإتيقان في علوم القرآن. تحقيق: سعيد المندوب. بيروت: منشورات دار الفكر. الطبعة الأولى: ١٤١٦ ق.
٢٠. الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨ ق) الملل والنحل. تحقيق: محمد السيد الكيلاني. بيروت: منشورات دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
٢١. الشهرستاني، السيد علي. منع تدوين الحديث. قم: منشورات مؤسسه الإمام علي. الطبعة الأولى: ١٤١٨ ق.
٢٢. . وضوء النبي. الطبعة الأولى: ١٤٢٠ ق.
٢٣. صدر المتألهين، محمد ابراهيم (ت ١٠٥٠ ق). مفاتيح الغيب. طهران: منشورات مؤسسه الدراسات الثقافية. الطبعة الأولى: ١٣٦٣ ش.
٢٤. . الحكمه المتعاليه في الأسفار العقلية الأربعة. بيروت: منشورات دار إحياء التراث. الطبعة الثالثة: ١٩٨١ م.

ص: ٢٠٨

٢٥. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١ق). معاني الأخبار. تحقيق: علي أكبر الغفاري. قم: مؤسسه النشر الاسلامي. الطبعة الأولى: ١٤٠٣ق.

٢٦. التوحيد. تحقيق: السيد هاشم الحسيني. قم: مؤسسه النشر الاسلامي. الطبعة الأولى: ١٣٩٨ق.

٢٧. علل الشرايع. قم: منشورات مكتبه الداوري. الطبعة الأولى: ١٣٨٥ ق.

٢٨. عيون أخبار الرضا. تحقيق: مهدي اللاجوردي. طهران: منشورات جهان. الطبعة الأولى: ١٣٧٨ ق.

٢٩. كمال الدين وتمام النعمه. تحقيق: علي أكبر الغفاري. طهران: منشورات الاسلاميه. الطبعة الثانيه: ١٣٩٥ق.

٣٠. الصفار، محمد بن حسن (ت ٢٩٠ق). بصائر الدرجات في فضائل آل محمد. تحقيق: محسن بن عباسعلي كوجه باغي. قم: مكتبه آيه الله المرعشي النجفي. الطبعة الثانيه: ١٤٠٤ق.

٣١. الطباطبائي، السيد محمد حسين (ت ١٤٠٢ق). الميزان في تفسير القرآن. قم: مؤسسه النشر الاسلامي. ١٤١٧ ق.

٣٢. الطبرسي، أحمد بن علي (ت ٥٨٨ق). الاحتجاج على أهل اللجاج. تحقيق: محمد باقر الخراسان. مشهد: نشر المرتضي. الطبعة الأولى: ١٤٠٣ ق.

٣٣. الطبرسي، فضل بن حسن (ت ٥٤٨ق). مجمع البيان في تفسير القرآن. طهران: منشورات ناصر خسرو. الطبعة الثالثه: ١٣٧٢ ش.

ص: ٢٠٩

٣٤. . إعلام الورى بأعلام الهدى. طهران: منشورات الاسلاميه. الطبعه الثالثه: ١٣٩٠ق.

٣٥. . تفسير جوامع الجامع. طهران: منشورات جامعه طهران. الطبعه الأولى: ١٣٧٧ ش.

٣٦. الطحاوى، ابن أبى العزّ الحنفى (ت ٧٩٢ق). شرح العقيدة الطحاوية. بغداد: منشورات دار الكتاب العربى. الطبعه الأولى: ٢٠٠٥م.

٣٧. الطريحي، فخر الدين بن محمد (ت ١٠٨٥ق). مجمع البحرين. تحقيق: أحمد الحسينى اشكورى. طهران: منشورات مرتضى. الطبعه الثالثه: ١٣٧٥ش.

٣٨. الطوسى، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ق). الإستبصار فيما اختلف من الأخبار. تحقيق: حسن الموسوى الخراسان. طهران: منشورات دار الكتب الاسلاميه. الطبعه الأولى: ١٣٩٠ق.

٣٩. الحميرى المعافى، عبدالملك بن هشام (ت ٢١٨ق). السيره النبويه. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى. بيروت: منشورات دارالمعرفه.

٤٠. علم الهدى، محمد باقر (ت ١٤٣١ق). البدء آيه عظمه الله. تقرير: السيد على الرضوى. مشهد: منشورات الولاية. الطبعه الأولى: ١٤٣٣ق.

٤١. . سدّ المفرد على القائل بالقدر. تقرير: السيد على الرضوى، أمير الفخارى وحسن الكاشانى. طهران: منشورات منير. الطبعه الأولى: ١٣٨٨ش.

ص: ٢١٠

٤٢. العياشي، محمد بن مسعود (ت ٣٢٠ق). تفسير العياشي. تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي. طهران: منشورات المطبعة العلميّة. الطبعة الأولى: ١٣٨٠ش.

٤٣. الفارابي، أبو نصر (ت ٣٣٩ق). فصوص الحكم. قم: منشورات بيدار. الطبعة الثانية: ١٤٠٥ق.

٤٤. الفيض الكاشاني، محمد بن المرتضى (ت ١٠٩١ق). تفسير الصافي. تحقيق: حسين الأعلمي. طهران: منشورات مكتبة الصدر. الطبعة الثانية: ١٤١٥ق.

٤٥. الفيومي، أحمد بن محمد (ت ٧٧٠ق). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. قم: مؤسسه دار الهجرة. الطبعة الثانية: ١٤١٤ق.

٤٦. القميّ المشهدي، محمد بن محمد رضا (ت ١١٢٥ق). تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب. تحقيق: حسين الدرگاهي. طهران: وزاره الثقافيه والإرشاد الاسلامي. الطبعة الأولى: ١٣٦٨ش.

٤٧. القميّ، علي بن ابراهيم (ت ٣٠٧ق). تفسير القميّ. تحقيق: السيد الطيّب الموسويّ الجزائريّ. قم: منشورات دار الكتاب. الطبعة الثانية: ١٤٠٤ق.

٤٨. القيصريّ الروميّ، محمد بن داوود (ت ٧٥١ق). شرح فصوص الحكم. بمساعي السيد جلال الدين الآشتيانيّ. منشورات العلميّه الثقافيه. الطبعة الأولى: ١٣٧٥ش.

٤٩. الكاشاني، ملا عبد الرزاق (ت ٧٣٠ق). تفسير ابن عربيّ. بيروت: منشورات دار إحياء التراث العربيّ. ١٤٢٢ق.

ص: ٢١١

٥٠. الكشّي، محمّد بن عمر (القرن الرابع). اختيار معرفه الرجال (رجال الكشّي). مطبعه جامعه مشهد مقدّس. الطبعه الأولى: ١٤٠٩ ق.
٥١. الكليني، محمّد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩ق). الكافي. تحقيق: على أكبر الغفاري. طهران: منشورات دارالكتب الاسلاميه. الطبعه الرابعه: ١٤٠٧ ق.
٥٢. المجلسي، محمّد باقر (ت ١١١٠ق). بحار الأنوار الجامعه لدرر الأخبار الأئمه الأطهار. بيروت: منشورات دار إحياء التراث العربي. الطبعه الثانيه: ١٤٠٣ ق.
٥٣. مرآه العقول في شرح أخبار آل الرسول. طهران: دار الكتب الاسلاميه. الطبعه الخامسه: ١٣٨٥ ش.
٥٤. الملكي الميانجي، محمّد باقر (ت ١٣٧٧ش). مناهج البيان في تفسير القرآن. طهران: مؤسسه الطباعه والنشر وزاره الثقافه والإرشاد الاسلامي. الطبعه الأولى: ١٤١٧ ق.
٥٥. . توحيد الإماميه. تنظيم: محمّد البياباني الأسكوئي. طهران: مؤسسه الطباعه والنشر وزاره الثقافه والإرشاد الاسلامي. الطبعه الأولى: ١٤١٥ ق.
٥٦. الموسوي الخوئي، السيّد أبو القاسم (ت ١٤١٣ق). معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواه. قم: مركز النشر الثقافه الاسلاميه. الطبعه الخامسه: ١٤١٣ ق.



ص: ٢١٢

٥٧. الميرداماد، محمد باقر (ت ١٠٤١ ق). القيسات. طهران: منشورات جامعه طهران. الطبعة الثانية: ١٣٦٧ ش.
٥٨. النسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ ق). سنن النسائي. منشورات دار الفكر للطباعة و النشر. الطبعة الأولى: ١٣٤٨ ق.
٥٩. النعماني، محمد بن إبراهيم (ت ٣٥٠ ق). الغيبة. تحقيق: علي أكبر الغفاري. طهران: مكتبة الصدوق. الطبعة الأولى: ١٣٩٧ ق.

الملخص

ص: ۲۱۳

بيان مؤسسه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

علم و معرفت بزرگترین و بهترین نعمت الهی است که خداوند متعال آن را به بندگان صالح خویش عطا می فرماید و آن ها را در مسیر عبودیت و کمال بندگی به سوی خود با آن یاری می کند. بزرگ ترین افتخار بندگان خدا برخورداری آن ها از این نعمت گرانسنگ است. عالمان ربانی و عارفان حقیقی کسانی هستند که در راه بندگی خدا همواره پیامبران الهی و امامان معصوم را چراغ راه خویش قرار داده و از سلوک طریق علمی و عملی آن ها هیچ وقت احساس خستگی به خود راه نداده و از هر طریق دیگری غیر از راه امامان معصوم دوری و بیزاری می جویند.

این بنیاد با هدف احیای آثار چنین بزرگانی که در طول تاریخ تشیع همواره مدافع و پشتیبان معارف اصیل و حیانی و علوم راستین اهل بیت بوده اند تشکیل می یابد.

امید است با توجهات خاص حضرات معصومین در این راه توفیق یارشان باشد تا بتوانند قدم های مثبت مهمی در احیای آثار ارزشمند آن بزرگان با شرایط روز بردارند.

ص: ۲۱۴

## چکیده

کتاب نگاهی به علوم قرآنی بیان گر دیدگاه های آیت الله محمد باقر ملکی □ در روش تفسیری و علوم قرآنی است که از مقدمه جزء اول مناهج البیان فی تفسیر القرآن و دیگر آثار تفسیری و کلامی مؤلف فقید و ترجمه شده است.

کتاب در ده گفتار سامان یافته که عبارتند از: فضیلت قرآن، حجیت ظواهر قرآن، انزال و تنزیل، محکم و متشابه، تفسیر و روش صحیح آن، تفسیر به رأی، تأویل، نسخ، بداء، اعجاز و تحدی قرآن.

از آنجا نویسنده محترم از عالمان معارفی مکتبی خراسان به شمار می روند؛ در پرتوی آموزه های این مکتب با دفاع از روش تفسیراجتهادی به نقد روش تفسیری اخباریان و تفسیر قرآن به قرآن و تفسیرهای عرفانی و فلسفی پرداخته اند.

آیت الله محمد باقر ملکی میانجی فقیه و مفسر و استاد معارف اعتقادی شیعه در سال ۱۲۸۵ ش در شهر ترک از توابع شهرستان میانه آذربایجان به دنیا آمد.

وی در زادگاه خود و حوزه علمیه مشهد از محضر عالمان بزرگی چون حضرات آیات سید واسع کاظمی ترکی، شیخ هاشم قزوینی، شیخ مجتبی قزوینی، میرزا محمد آقا زاده و میرزا مهدی اصفهانی □ در فقه و اصول و معارف بهرمنند گردید. از میرزای اصفهانی به دریافت اجازه اجتهاد و افتاء و نقل حدیث مفتخر گشت. اجازه ای که آیت الله سید محمد حجت کوه کمری نیز آن را تأیید کردند.

ایشان در ۱۳۲۰ ش به زادگاه خود عزیمت نموده و در آنجا سکونت گزیدند. و با پذیرش زعامت دینی آن سامان به نشر معارف و شعائر اسلامی همت گماشتند. و پس از هفده سال سکونت در وطن در سال ۱۳۳۸ ش عازم حوزه علمیه قم شدند و تا زمان رحلت (۱۵ خرداد ۱۳۷۷ ش) به تدریس خارج اصول و فقه و معارف اعتقادی و تفسیر قرآن پرداختند. از ایشان مناهج البیان فی تفسیر القرآن (در ۶ جلد) و بدایع الکلام فی تفسیر آیات الأحکام و توحید الإمامیه منتشر شده است.

## Book Summary

This book is a compilation of research work conducted by the great erudite and prolific jurist Ayatollah Sheikh Mohammad Baqer Maleki Mianji (may Allah bless his soul) in the areas of Qur’anic sciences and scriptural exegesis. These research papers are largely “extracted from his encyclopedic threstise “Manhajul Bayan fi Tafseer al Qur’an

The book has ten chapters, all revolving around the Glorious Qur’an, its authority and methods of interpretation, as well as key Qur’anic topics and points of contention

The author pursued a juristic approach to his commentary and interpretation of the Qur’an, rejecting the methods employed by the Akhbari school of thought, as well as Interpreting the Qur’an through the Qur’an, or Irfani or philosophical interpretations

Ayatollah Maleki Mianji was a jurist and a commentator, as well as a teacher of Islamic sciences and Shia creed. He was born in ١٩٠٦ in the city of Tark in the province of Mianeh in the state of Azerbaijan, Iran. He began his education in the village where he was born, then went on to study in the proximity of the eighth divinely appointed leader, Imam Redha may Allah’s peace and blessings be upon him, at the holy city of Mashhad. He studied under the most illustrious scholars and received his certificate of Ejtehad (the highest honor awarded at the Islamic seminary) from his teacher Mirza Mahdi Esfehani

ص: ٢١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

Call on to the way of your lord with wisdom and good preaching

Knowledge is arguably God's most precious blessing given to humanity, with which they can understand, worship, and submit to the Almighty's commandments. It is indeed the greatest of His gifts for both in this life and the afterlife.

And those with divine understanding are the true inheritors of the prophets and their successors. Those are the people of wisdom who stop at nothing in carrying on their endeavor in seeking knowledge from its one and only source; The messengers of Allah

This institution, was founded on the revival and republishing the canons and original works of the scholars who gave their life in supporting the foundations of the religion and the teachings of the holy prophet and his immaculate household. We ask Allah to guide us in this holy path.

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
 هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
 الزمر: ٩

## المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمتقنين في الجامعات والحوزات العلمية.

## إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرهما أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعة إلكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمتقنين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

## الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
 تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
 تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
 الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
 توسيع عام لفكرة المطالعة  
 تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

## السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
 إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
 الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
 العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات  
 الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
 من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms )

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

1. JAVA

2. ANDROID

3. EPUB

4. CHM

5. PDF

6. HTML

7. CHM

8. GHB

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

1. ANDROID

2. IOS

3. WINDOWS PHONE

4. WINDOWS

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتيّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الالكترونى : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزى ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

هاتف المكتب فى طهران ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
أصبحان



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

**www.Ghaemiyeh.com**

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩